المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
INSTITUT ROYAL DE LA CULTURE AMAZIGHE

طارق المعروفي

مجموعة أوسمان الأمازيغية

مجموعة
أوسمان الأمازيغية

مجموعة
أوسمان الأمازيغية

ما سر تواجد فنان معرب ضمن المجموعة

1962

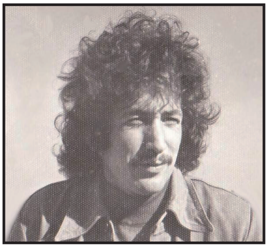

1975

2010

تأليف
طارق المعروفي

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات الفنية الأدبية والانتاج السمعي البصري
سلسلة رقم :

العنوان	: مجموعة أوسمان الأمازيغية
تأليف	: طارق المعروفي
الناشر	: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
الإخراج والمتابعة	: مزكز الترجمة والتوفيق والنشر والتواصل
المطبعة	: مطبعة المعارف الجديدة - الرباط
الإيداع القانوني	:
ردمك	:
حقوق الطبع	: محفوظة للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

فهرس

– إهداء	7
– تمهيد	9
– الحياة الفنية قبل أوسمان	15
– ظهور مجموعة أوسمان	23
– كيف توقفت أعمال أوسمان ؟	67
– آراء بعض الباحثين والمهتمين بمجموعة أوسمان	71
– الحنين إلى أوسمان	77
– القضية الأمازيغية.. إلى أين؟	81

إهداء

عندما تم إخبار والدي رحمه الله إبان الإستعمار وهو معتقل في سجن لعلو بالرباط بأنه رزق ببنت، صاح قائلا: «إنها الحرية إن شاء الله.»

ومن غريب الصدف، أن يكون ذلك اليوم هو آخر أيام الإعتقال. إلا أن ترديده لكلمة «الحرية» جعله يقضي أياما إضافية في زنزانته، لم تمكنه من حضور حفل مولودته التي سميت «حرية» عملا بتوصيته رحمه الله. و بعد أن أخبر العملاء أسيادهم الفرنسيين بذلك، جاء العقاب فورا... وكانت تلك هي المرة الرابعة التي يسجن فيها والدي بدون حجة أو محاكمة أو دفاع. لقد كان المبرر الوحيد هو الوطنية والمطالبة باستقلال المغرب.

لذكرى أبي رحمه الله، أهدي هذا الكتاب المتواضع إلى روحه الطاهرة وأقول له، إذا كنت قد ناضلت وقاومت من أجل استقلال المغرب بدون أجر أو طمع، وتوفيت وبيتك معرض للإفراغ من طرف المحكمة، فإن ابنك هذا سيواصل المشوار في خندق آخر، له علاقة بالحرية والمواطنة والهوية.

كما لا تفوتني هذه الفرصة، لأهدي هذا الكتاب إلى والدتي رحمها الله التي كانت رفيقته في النضال. نضال تجلى في إخفاء الوطنيين والتستر عنهم، وكذا إخفاء الأسلحة تحت أسرة أبنائها، وخياطة الأعلام الوطنية، لأن الهدف كان نبيلا، كما كانت القضية تستدعي التضحية بالغالي و النفيس.

تمهيد

كثير من الأشياء تبدو لنا غامضة وغير واضحة، ولكن الأيام كفيلة بصقلها ونفض الغبار عنها. وكثير من التساؤلات تبقى بدون إجابة أو مبرر في وقت ما، إلا أنه مع مرور الزمن، يكتشف المرء السر من وراء تغيير المفاهيم لتمرير معطيات غالبا ما تكون مغلوطة أو ملقحة.

لقد كنت وأنا تلميذ في الإعدادي، أكره مادة التاريخ، لأنني كنت أعتبر كما يقال «إن التاريخ ليس ما كان ولكن ما أراد الكاتب أن يكون». كما أن الكاتب لا يمكن أن يكتب بمعزل عن عقيدته وهويته وانتمائه ونشأته. لذا يتعين أخذ الحيطة والحذر من كل الكتابات، ومن كل ما نسمع من أخبار وما نشاهد من روايات وأفلام.

أكاد أكون مبالغا في هذا المضمار، ومع ذلك لا زلت أذكر كما قلت وأنا في الإعدادي أواسط الستينات، ذلك اليوم الذي قال فيه أستاذ التاريخ وهو فلسطيني الأصل، «إن سكان المغرب الأولون هم الكنعانيون». أنذاك عارضت الأستاذ بأن هذه المعلومة خاطئة، إذ نعلم كلنا منذ الصغر أن سكان المغرب الأولون هم (البرابرة). فأيدني جماعة صغيرة من التلاميذ، تأكدت فيما بعد أنهم يتكلمون اللغة الأمازيغية، ولا يريدون الإفصاح عن هويتهم مخافة مواجهة عنيفة ضدهم أو احتقارهم أو الإستهزاء بهم.

وفي فترة الإستراحة، اقترحت على التلاميذ الذين احتجوا أن نتصل بالسيد مدير الإعدادية لوضع حد لهذا التغليط. لم يقبل التلاميذ ذلك، وأمام إصراري وإلحاحي، صاحبني البعض منهم للقاء «سعادة» المدير الذي انهال علينا بالشتم والقذف، وهددنا باتخاذ جميع الإجراءات الزجرية إذا واصلنا الإحتجاج وكررنا مقاطعة الأستاذ، أو حاولنا اللجوء إلى مكتب المدير مرة ثانية. كان عمري أنذاك خمسة عشر سنة، ونظرا لنحافة جسمي يمكن للمرء أن يقدر عمري باثني عشر سنة. من هنا لا يسعنا إلا أن نقبل الأمر الواقع، والانصهار في ظل الهيمنة.

إن الهيمنة تأخذ عدة وجوه وأشكال وعدة مستويات، فهناك هيمنة الدول العظمى و سيطرتها الإقتصادية والثقافية على الدول المستضعفة. وكذلك اللغة لا يمكن أن نستثنيها من هذا الإطار.

فهناك مثلا منشط فرنسي لبرنامج تلفزي، يستضيف مغنيا أمريكيا دون المستوى، فيحاوره باللغة الإنجليزية ثم يهتم به ويمجد أعماله، لدرجة تجعله يظهر في وضعية سلطوية مهيمنة ولو من الناحية الفنية. وعندما يستضيف منشط برنامج مغربي مغنيا فرنسيا مبتدئا، نلاحظ نفس السيناريو، حيث يتكلم معه بلغته ويمجد إنجازاته الفنية ثم يهتم به، حيث يجد نفسه في وضعية دونية بالنسبة إليه. ويمكن أن نلاحظ عدة مفارقات في هذا المجال.

فالهيمنة لها علاقة بالشخصية والثقة في النفس والهوية وما إلى ذلك. وهناك الهيمنة داخل الدولة، إذ تجد فئة معينة تهيمن بتقاليدها وعاداتها وتراثها ولغتها على فئة أخرى، وتجعل الآخر في وضعية دونية إذا لم يساير الركب. وأي ركب؟... لقد تعلمنا منذ الصغر عدة عادات وطقوس أصبحت فيما بعد من تقاليدنا المسماة بالعريقة. فمثلا لابد أن نأكل البسطيلة في المناسبات لنكون في المستوى الحضاري المطلوب، مع احترامي وإعجابي بجميع الأطباق المغربية. ولابد أن يرفع العريس

والعروس فوق المائدة فرحا بهما. وفي المناسبات والأعياد لابد أن نستمع إلى نمط معين من الموسيقى. و لا بد أن نلبس لباسا معينا في بعض المحافل، وغير ذلك من التقاليد التي عشناها وترعرعنا فيها، ولا زلنا نمارسها عن طواعية أو جبرا أو انحيازا و تقليدا للآخرين.

وهناك الهيمنة داخل الإدارة، إذ تعطى الأهمية والإهتمام للناطق باللغة الفرنسية على اعتبار أنه مثقف أكثر من غيره. ولهذا يتسلق المفرنس السلالم الإدارية بسرعة ويحرق المراحل تلوى الأخرى. فلو كانت تدخلاته أو أفكاره مترجمة في اجتماع ما إلى العربية، لما اهتم به أحد، ولاعتبروه بعيدا عن التطور والتقدم.. أما في حالة ما إذا كانت مداخلة أحدهم باللغة الأمازيغية في اجتماع معين، لكانت الطامة الكبرى، ولانسحب المشاركون وكأنهم أمام ديناصور استيقظ .

والهيمنة تكون أيضا بين الأسر. فهذه أسرة تفرض أسلوبها وآراءها على أسرة أخرى، ولابد أن تفرض الأسرة المهيمنة «بكسر الميم» فروض الطاعة والاحترام على الأسرة المهيمنة «بفتح الميم» وإلا فسيتم إقصاؤها من الرضى والاندماج. وهناك الهيمنة حتى داخل العائلة الواحدة، بحيث يهيمن الأخ على أخيه والأخت على أختها. ولمواجهة هذه الهيمنة، أردت إبراز الذات والتعبير عن مشاعري وذلك باللجوء إلى الموسيقى، ثم إلى الإذاعة والتلفزة، حتى لا أبقى سجين دوامة صغيرة. ومن هنا أتساءل، كيف لطفل كان يصنع الآلات الموسيقية بأسلاك الفرامل و(بيدونات) مبيدات الحشرات أن يتوفر على بيانو في طفولته ؟ وكيف لهذا الطفل أن يبدأ العزف على البيانو ويتعلم في الستينات عزف مقاطع من طرب الآلة أو ما يصطلح عليه بالموسيقى الأندلسية، ليصبح في بداية السبعينات يعزف الأنغام الأمازيغية ؟ وكيف لهذا الشاب أن ينشأ في بيئة وأسرة لا تتكلم اللغة الأمازيغية، ليصبح بعد ذلك من أحد أعضاء مجموعة أوسمان الأمازيغية، ويدافع عن القضية الأمازيغية أكثر من الأمازيغ أنفسهم، والمقصود الناطقين بالأمازيغية.

لم تكن حياتي الموسيقية إلا محطات قبل تأسيس مجموعة أوسمان. إنه الوصول إلى المحطة الرئيسية والأصلية التي وجدت فيها نفسي ووجداني. والفضل يعود إلى أصدقائي في المجموعة، وإلى قيدوم الحركة الأمازيغية الأستاذ إبراهيم أخياط أحد مؤسسي أول جمعية أمازيغية في المغرب سنة 1967، وهي الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي. هذا الرجل الذي كان يتعامل معي بطريقة خاصة، إذ كان يعطيني جميع الأجوبة المقنعة والواقعية عن التساؤلات التي كنت أطرحها، والتي كانت تخامرني منذ الطفولة. كان يشرح لي بالدليل والبرهان، مفهوم اللغة الأمازيغية التي كانت ستعرف الإبادة لولا صحوة المثقفين في هذا المجال، والعاملين على إحيائها واستمرار وجودها.

وما الموسيقى إلا وسيلة للنهوض بالثقافة الأمازيغية. إذ يمكن للموسيقى أن تكون في الواجهة إذا تعذر الإفصاح عن التوجه بطريقة أخرى. وحتى يدرك المرء مدى قوة الموسيقى في تمرير الأفكار وحتى اللغة، أعطي مثلا بسيطا عن مجموعة موسيقية ألمانية لا يتجاوز سن أعضائها السابعة عشرة، تؤدي أغاني صاخبة ومألوفة ولا يمكن تمييزها عن الأغاني الأوربية أو الأمريكية. إلا أن هذه المجموعة، عرفت مؤخرا وفي ظرف وجيز نجاحا منقطع النظير، وشهرة فاقت الحدود. وفي فرنسا، عرفت عروضها حضورا جماهيريا غفيرا وتعبئة للأمن والسلطات، حتى أصبح الشباب الفرنسي يحفظ أغاني هذه المجموعة عن ظهر قلب، بل يتوافد على معاهد تدريس اللغة الألمانية لمعرفة كلام الأغاني. وأمام هذا التعطش الغريب من طرف الفرنسيين لتعلم اللغة الألمانية، صرح أحد المسؤولين الألمان قائلا: «إن هذه المجموعة الموسيقية التي تتكون من أربعة أفراد لعبت دورا مهما في نشر هذه اللغة أكثر من الدبلوماسيين الذين تعاقبوا منذ التاريخ القديم.

ونحن في المغرب، لا زال الذوق الأمازيغي كما يقول الأستاذ الصافي ينفعل بصفة عامة مع الكلمة أكثر من انفعاله مع الموسيقى. بمعنى أن الحكم على الإبداع

الغنائي، يكون سلبا أو إيجابا بما يحتضنه من صور شعرية، وليس لما يحتويه من أنغام موسيقية. وقد عملت مجموعة أوسمان في هذا الإتجاه وذلك بتوسيع مجالات الأنغام، والإعتماد على الترتيب الموسيقي وتنوع الأوزان، واستعمال الآلات الحديثة دون إغفال العتيقة، للخروج بالأغنية من وسطها الضيق لتسبح في عالم الفنون المتحضرة، وتتخطى الحواجز الأولى تلوى الأخرى.

الحياة الفنية
قبل أوسمان

عندما كانت والدتي رحمها الله تريد أن تستريح وأن تتخلص من وجودي بالمنزل تقول لي : «اذهب إلى دكان أبيك و قل له، (قالت لك أمي إشتري الفول واقبض المرسول)». وعند وصولي أصبح سجينا في الدكان طول النهار. كنت أقف بباب الدكان الصغير لتفكيك أسلاك فرامل الدراجات العادية لأصنع بواسطتها أوثار قيثارة، والتي هي عبارة عن (بيدون) مبيد الحشرات. كما صنعت آلة القانون باستعمال لوحة خشبية هيأتها لهذا الغرض، حيث وضعت فوقها مسامير وأسلاك فولاذية. وقد كان عملا شاقا ومؤلما، ولكنه في نفس الوقت ممتعا عندما تسمع الموسيقى تنبعث من هذه الآلة العجيبة.

وعندما أذهب إلى المدرسة فإن الموسيقى لا تفارقني، لدرجة أنني كنت أضع المسطرة على حاشية الطاولة، ثم أقوم بالنقر عليها لتحدث صوت آلة الكونترباص. ولا زلت أذكر كذلك ظاهرة اختراع الهاتف لدى الأطفال في تلك الفترة، وذلك باستعمال علبتين لعود الثقاب يربط بينهما خيط، فعندما يتكلم الواحد في العلبة، يسمعه الآخر في الجهة الأخرى. وهي بكل بساطة نتيجة عملية اهتزاز ألهمتني لأصنع آلة تشبه الكونترباص. فكيف تم ذلك؟

لقد حصلت بإلحاح كبير على سطل من البلاستيك، ووضعت ثقبا في وسطه حتى يمر عبره قنبا يعقد على قطعة خشب صغيرة. أما الطرف الثاني من القنب

فيربط على عصا طويلة، بعدها أقوم بالعزف على القنب الذي يحدث صوتا بواسطة السطل.

والغريب في الأمر،أن نفس الفكرة صادفتها بدهشة كبيرة بعد سنين في مدينة دوسلدورف الألمانية، حيث قام بعض الشباب بالعزف على نفس الآلة بمناسبة تدشين متجر يفتح أبوابه لأول مرة. وأمام هذا الإهتمام المفرط بالموسيقى، تفاجأت بوالدي يطلب مني يوم عاشوراء أن أختار لعبة بالمناسبة، فكان جوابي هو شراء لوتار صغير. وفعلا تمت تلبية طلبي، وذهب معي لشراء تلك الآلة العجيبة التي لا زلنا نراها في الأسواق، وكان ثمنها أنذاك درهمين. كم فرحت بأول آلة موسيقية هي ملك لي وحدي. آلة تفرز أنغاما، آلة ستمكنني أخيرا من العزف.

وبهذه المناسبة، ومن شدة فرحي، خرجت إلى باب المنزل لأفتخر بها أمام الأطفال. ولكن ما كدت أبدأ العزف حتى اختطفت مني الآلة، وتم تكسير ظهرها. ولكن ذلك العمل الشنيع لم يؤثر على توجهي، فقمت بإصلاحها وإعادة ظهر السلحفاة إلى مكانه بالغراء، وهو العجين والماء. ومرت الأيام، إلى أن أخبرني والدي بأنه اشترى لي بيانو حتى أتمكن من إشباع هوايتي. لم تكن أية مناسبة لهذا الحدث، لكنني قبلت يده وشكرته على هذا الإهتمام. وجاء اليوم الموعود عندما أخبرني أخي الصغير، أن حمالا بباب المنزل يجر عربة فيها بيانو. لم أصدق، ففتحت الباب، فإذا بي أمام بيانو حقيقي. لقد كنت أظن في بداية الأمر، أن والدي اشترى لي ذلك البيانو الصغير الألعوبة التي نجدها عند الباعة في الأسواق خصوصا أيام عاشوراء. إلا أنني أمام بيانو حقيقي.

لم أسال أبي عن ثمن هذه التحفة ولا من أين أتى بها. إلا أنني علمت بعد ذلك، أن أحد الفرنسيين كان يود الرحيل إلى بلاده، فأهدى لأبي هذا البيانو عندما سمع أن ابنه يهتم كثيرا بالموسيقى. وعلى اعتبار أن والدي كان معجبا ومولعا بأغاني سامي المغربي والحاج محمد العنقة الجزائري، فقد قدم لي رجلا كبير السن اسمه الحاج المعطي، ليقوم بتلقيني كيفية العزف على البيانو. وفعلا كان الحاج المعطي يزورني صباح كل جمعة، ليعزف على البيانو وأنا بجانبه أنظر إلى أصابعه كيف ترقص على ملامس البيانو. ونظرا لكونه أحد أفراد مجموعة تؤدي موسيقى الآلة أو ما يعرف بالموسيقى الأندلسية، فقد علمني رحمه الله بعض المقاطع من هذا الطرب. إلا أن هذه الطريقة للعزف، وهذا الصنف من الموسيقى لم يكن هو المبتغى، ولهذا التحقت بالمعهد الوطني للموسيقى قصد الدراسة.

لم يقف طموحي عند هذا الحد، بل كنت كلما أخرج من المدرسة، أذهب إلى باب دار الإذاعة بزنقة البريهي لأجلس فوق سور قصير ساعات طوال لأستمتع برؤية الفنانين مباشرة. هذا الموسيقي فلان يدخل الإذاعة بدون بطاقة المرور أو مرقابة، وهذا

ممثل يخرج ليلتقي بآخرين و يتجاذبون أطراف الحديث. وذات يوم لفت انتباهي خروج المرحوم إدريس العلام من الإذاعة، فقمت عفويا من مكاني، واتجهت صوبه ثم طلبت منه أن أشارك في برنامجه الخاص بالأطفال «بستان الأطفال». فكان جوابه بالإيجاب، وحدد معي يوم الجمعة الموالي على الساعة الثالثة بعد الزوال أمام دار الإذاعة، للإستماع إلى العزف الذي سأقوم به على البيانو. وكنت في الموعد المحدد. وهاهو إدريس العلام يطلب مني أن أصاحبه إلى داخل المبنى. ويالها من لحظة العمر أن أدخل لأول مرة دار الإذاعة المغربية. ثم أتوجه بعد ذلك إلى أستوديو رقم واحد، الذي كان مليئا بأعضاء الجوق الأندلسي بجلابيبهم البيضاء وهم يتحدثون في انتظار بداية التسجيل. وما أن طلب منهم إدريس العلام الإستئذان لسماع هذا الطفل، حتى خيم الصمت الرهيب على الأستوديو، ولم أعد أسمع سوى نبضات قلبي. وبدأت يداي ترتعشان، لأنني أمام امتحان لأدخل هذا العالم الذي كنت دائما أحلم به. بدأت أعزف قطعة موسيقية كنت قد حفظتها صحبة بعض الأصدقاء، إلا أنني لم أتمكن من عزفها بشكل جيد، ولم أكن مقتنعا بالأداء.

وبعدما انتهيت والصمت لا زال مخيما على الأستوديو، نظرت إلى الموسيقيين أمامي ثم إلى وجه إدريس العلام، الذي أعطاني فرصة ثانية حيت قال لي: «هل تريد أن تعزف قطعة أخرى؟»، على اعتبار أن الأولى كانت غير مقنعة. وهنا خطر ببالي أن أعزف مقطعا من موسيقى الآلة. وما هي إلا ثوان معدودة من العزف، حتى قام أحد العازفين على الكمان لمصاحبتي، ثم أخذ كل واحد يبحث عن آلته من أجل العزف الجماعي، فتشجعت وبدأت أعزف بكل ثقة في النفس وكأنني أحد أعضاء الفرقة. ثم أدركت أنذاك أنني ربحت الرهان.

وهكذا التحقت بفرقة الأطفال مع المرحوم إدريس العلام الملقب ب(بّـا حمدون)، فكنا نسجل للتلفزة بالطابق الأخير لبناية المسرح الوطني محمد الخامس. وبما أن جميع البرامج كانت تبث مباشرة، فقد كنا نرى مذيع نشرة الأخبار

باللغة الفرنسية يستعد في نفس الأستوديو على مقربة منا ونحن ننشد الأناشيد أو نمثل التمثيليات. وهكذا بدأت أتعرف على الميدان وأكسب الخبرة.

وللتخلص من برنامج (بّـا حمدون)، قرر المسؤولون أنذاك أن يبث البرنامج مباشرة من استوديوهات عين الشق بالدار البيضاء صباح كل أحد. وفعلا بدأنا نسافر في الصباح الباكر أيام الأحد من أجل بث البرنامج، وذلك على متن حافلة تقل جميع أعضاء الفرقة التي كانت تضم أصحاب الدمى المتحركة «الكراكيز» والأناشيد والتمثيليات.

وجاء يوم الإستغناء النهائي عن البرنامج، حيث كانت لحظة فراق جد عصيبة خصوصا عندما أخد المرحوم إدريس العلام الكلمة ليشكر جميع الذين ساهموا منذ سنين من أجل إنجاح أول برنامج للأطفال، ولم ينس أي أحد من أصحاب الديكور والإنارة والصوت والتصوير والإخراج، حتى أغمي عليه داخل الأستوديو. فاجتمع حوله الأطفال، وتم نقله إلى الحافلة، وامتدت إليه أيادي الأطفال برشة ماء بريئة أو قارورة عطر ندية.

انتهت باختصار مرحلة (بّـا حمدون)، ولم يبق عندي أي متنفس للدخول مرة أخرى إلى الإذاعة. وإلى حدود هذه المرحلة لم أكن أسمع الموسيقى الأمازيغية لسبب بسيط، وهو أنني ولدت في وسط غير ناطق باللغة الأمازيغية، كما أن الإذاعة والتلفزة لا تقدمان هذا النوع من الغناء. ثم إن أهل المدينة لا يتعاطون لها في حفلاتهم الخاصة والعامة. كما أن عدم إلمامي بالموسيقى الأمازيغية هو كوني لم أجد أحدا يسمعني هذا الغناء أو يشرح لي معنى الفنون التقليدية.

ثم جاءت مرحلة برنامج «مواهب» الذي كان يشرف عليه الأستاذ عبد النبي الجيراري كذلك في الستينات. وهكذا التحقت بعالم هذا البرنامج الذي عرف ميلاد العديد من الفنانين، وقدمت فيه أعمال جيدة، ومكنني ذلك الإتصال

الأسبوعي من الإحتكاك مرة أخرى بالموسيقيين. فقد كان البرنامج هو المتنفس الوحيد للطاقات والإبداعات الموسيقية. أما البرامج الأخرى فقد كانت مخصصة فقط لما يسمى بالمحترفين، وكانت توجد عدة حواجز من أجل الوصول إلى تقديم الإنتاج، كلجنة الكلمات ولجنة الألحان وعدد من الإجراءات الإدارية. وقد كانت التداريب تقام بمنزل معد البرنامج بحي أكدال، وهنا تعرفت على المشاركين الرسميين في البرنامج أذكر منهم على سبيل المثال: سعيد الزياني، وسميرة بنسعيد، وعز الدين المنتصر، ومحمد بلخياط، والعلوي، والسحنوني، وآخرون ...

وتأتي سنة 1970 لألتحق بمركز التكوين الفلاحي بضواحي مدينة تيفلت لمدة سنتين انقطعت فيها عن الإتصال بالميدان الفني. وخلال تواجدي بالمركز الذي كان معزولا تماما عن المدينة، أنشأت صداقة بالصدفة مع أحد الطلبة وهو الأخ الحسين أيت بوفتاس، الذي كان يتحفني في فترات الإستراحة، وفي أماكن معزولة بعيدة عن نظرات الطلبة ببعض الأغاني الأمازيغية، وكنت أصاحبه بالإيقاع والتصفيق والترديد بنفس النغمة، ولو أنني لا أتكلم اللغة الأمازيغية. عندها قال لي بوفتاس ذات يوم: »أقسم بالله أنك أمازيغي«. وذلك نظرا لطريقة الرقص والترديد التي كنت أتقنها وكأنني ولدت في منطقة سوس. وأنا بدوري كنت أقوم في أوقات الفراغ بالبادية بتلك الرقصات والحركات بطريقة عفوية، أجد نشاطا غريبا عند ممارستها، وأكسجينا يجعلني أستنشق رائحة التربة التي تتجاوب معي. إنها تنطق نفس النطق، وتجذبني إليها وتقول لي: «الهوية يا طارق». لم أعرف سر هذا التجاذب والتجاوب إلا بعد مرور السنين.

وبعد انتهاء مرحلة التكوين، التحقت بإحدى الإدارات بالرباط، وأخذني الحنين إلى أصدقائي في الميدان الفني الذي غبت عنه مدة سنتين. وهكذا بدأت أجري اللقاءات بين هذا وذاك، إلى أن قررت تأسيس جوق متكامل على شكل الجوق الوطني. وفعلا رحب جل الموسيقيين بالفكرة والذين كانوا ضمن المجموعة

الدائمة لمواهب. فبدأت التداريب الأولى بمنزلي، وكان الجوق يضم خيرة العازفين الذين درسوا بالمعهد الموسيقي وعددهم تجاوز خمسة وعشرون فردا، منهم المجموعة الصوتية وضابطي الإيقاع وعازفي الكمان الأول والثاني والألطو والباص والقيثارة والأورغ و الناي والقانون.

وكانت المعزوفات عبارة عن ترديد الأغاني المغربية العصرية والأغاني الشرقية. وقد قدمنا بعض العروض الموسيقية الخاصة، إلا أن أسلوب هذه الفرقة وطريقة عملها، لا يمكن أن يلعب دورا مهما في ذلك الوقت، نظرا لعدة عوائق منها، مشكل الإنتاج وقلة التداريب، وانعدام التفرغ الكلي للعمل الفني، وتعدد الأهداف ومحدودية الإمكانيات...

ظهور مجموعة
أوسمان

مجموعة أوسمان في إحدى شوارع حي أكدال بالرباط سنة 1975

من اليمين إلى اليسار

سعيد بوتروفين- بلعيد العكاف- سعيد بيجعاض- اليزيد قرفي - طارق المعروفي

امبارك العموري

بينما كنت أتجول في شارع محمد الخامس بالرباط وبالضبط أمام بناية السعادة، التقيت بالأخ سعيد بيجعاض الذي أعرفه كعازف كمان في برنامج «مواهب» ولم يكن ضمن الفرقة الموسيقية التي أسستها. فاقترح علي تأسيس مجموعة موسيقية تغني باللغة الأمازيغية، وقدم لي شابا كان رفقته وهو امبارك العموري واقترحه علي

كمغني للفرقة المزمع تأسيسها. فرحبت في الحال بالفكرة، وحددنا موعدا للشروع في التداريب. اجتمعت بعد ذلك بأعضاء مجموعتي الموسيقية وأخبرتهم بانسحابي منها، وقرأت في عيون بعضهم أنني سأندم على التوجه الجديد الذي أعتزم نهجه. وهكذا ذهبت يوم الموعد إلى بيت الأخ بيجعاض الكائن بحي أكدال. وكان المنزل يضم غرفتين متواجدتين بالطابق الأخير، وعندها تعرفت لأول مرة على الأخ سعيد بوتروفين الذي كان ضابط إيقاع، وقد كنت أعرف أخاه الذي يكبره سنا والذي كان من عشاق أغاني عبد الحليم حافظ، حيث كان يغني أغانيه بكل إتقان بل يشبهه حتى في حركاته وطريقة أدائه.

بدأنا التداريب على أغنيتين هما تاكنداوت وتيلاس. وقمت بتسجيلهما على شريط كاسيط لا زلت أحتفظ به إلى يومنا هذا وقد مر عليه أزيد من ثلاثة عقود. وبعد ذلك التحق بنا الأخ القرفي اليزيد الذي كان يسكن بمدينة الدار البيضاء، ثم الأخ بلعيد العكاف.

وهكذا بدأ يتوافد على مقر إقامة المجموعة عدد كبير من المهتمين والمثقفين. وفي تلك الفترة، تعرفت على أعضاء الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي التي اهتمت بتأطير المجموعة الموسيقية، وعملت جاهدة لإعطاء نفس جديد للثقافة الامازيغية. وعلمت بعد ذلك أنها قامت بعدة محاولات من أجل النهوض بالموسيقى الأمازيغية، إلا أن تلك المحاولات لم تعط أكلها وباءت بالفشل. كما علمت أن رئيس الجمعية ذهب إلى حفل زفاف في صيف 1973 بتيزنيت، حيث أثار انتباهه امبارك الذي كان يؤدي في ذلك الحفل أغاني غربية وعربية عصرية، وينفرد من حين لآخر لأداء أغنية أمازيغية. وهنا اقترح عليه إبراهيم أخياط المجيء إلى الرباط من أجل مشروع تأسيس مجموعة موسيقية أمازيغية. وفعلا وافق على الإقتراح، وجاء إلى الرباط سنة 1974 حيث وفر له رئيس الجمعية الظروف

مجمـــوعـــة أوسمـــــان سنـــة 1975

الملائمة للإستقرار. وكان دور امبارك، هو تعويض الفنان الصافي مومن علي الذي تم تعيينه بورزازات كقاض، والذي كان يقوم بدور التلحين والغناء للمجموعة.

ومرت الأيام، وازداد حماس أعضاء المجموعة، مما انعكس إيجابا على الإنتاج، فحصل الإنسجام التام، وأخذ كل واحد يبدع و يعطي كل ما أوتي من مؤهلات فنية من أجل إنجاح المشروع. كما أصبحت المجموعة بعد ذلك واعية بالمسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقها، وفتح النقاش مع أعضاء الجمعية للإستفادة من كتاباتهم في مجال الأدب الأمازيغي. وبحكم أن أعضاء المجموعة لم يكونوا شعراء أو مختصين في هذا المجال، فإن دورهم كان يقتصر على تلحين ما يقترح عليهم من طرف الشعراء الكبار أمثال: المرحوم علي صدقي أزايكو، والمرحوم عبد الله الرحماني الجشتيمي، ومحمد مستوي وعمر أمرير وإبراهيم أخياط وآخرون. كما كانت المجموعة تقوم بالترتيب الموسيقي المتعارف عليه عالميا كإطار للأغنية، مع الحفاظ التام على أصالة النغمة والإيقاع الأمازيغيين .

وقبل المشاركة في أول حفل نظمه أحد رجال الأعمال بالرباط، قام الأستاذ إبراهيم أخياط بإعداد لباس موحد للمجموعة، وهو عبارة عن سروال وقميص لونهما برتقالي و(جيلي) أسود. وفي واقع الأمر، لم يعجبنا هذا الزي، ومع ذلك استعملناه لأول وآخر مرة. وأثناء الحفل، وقعت عدة مضايقات وسلوكات لم ننتبه إليها، لأننا كنا نركز فقط على الجانب الموسيقي. ولكن عندما وقع عطب كهربائي، بدأنا نتساءل عما يجري داخل هذا المنزل. إذ يطلب منا مرة أن نشرع في الغناء، ومرة أخرى يطلب منا التوقف و جمع الآلات والانسحاب. واتضح لنا فيما بعد، أن أحد المدعوين أو صديق صاحب المنزل، عارض بشدة أداء المجموعة الأمازيغية على أساس أن الحفل ستحييه مجموعة الشيخات. وكان الأستاذ إبراهيم أخياط وبعض أعضاء الجمعية يواجهون هذا المنع، وكانت نتيجة صمودهم ورزانة أعضاء المجموعة رغم صغر سنهم أنذاك، أن استأنف الحفل وزال التوتر، ونجحت المجموعة

التي كانت تسمى «ياه» في أول اختبار لها، وبعد ذلك تم تغيير هذا الإسم باسم آخر له دلالة ومعنى وهو «أوسمان».

وهكذا توالت الحفلات الخاصة، وكان جلها يقام بمدينة الدار البيضاء، إذ كلما انتهى حفل إلا ويتم استدعاؤنا إلى حفل آخر، مما مكننا من الإحتكاك بالجمهور الصغير والمحدود، ومن اكتساب الخبرة والتجربة.

أما عن السهرة الفنية التي أحييناها بمنزل المرحوم الحاج تيسير الملقب ب(نص بلاصا)، فقد اتصل بنا منظم تلك التظاهرة، وطلب منا إحياء حفل لم يذكر صاحبه. فاقترحنا عليه مبلغا مهما قدره ستة آلاف درهم. ومعلوم أن هذا المبلغ في بداية السبعينات كان يشكل كسبا مهما وهائلا. فكان رد منظم السهرة القبول بدون تردد، حيث دفع لنا تسبيقا لضمان مشاركتنا. وعندما وصلنا إلى مقر الحفل، كانت المفاجأة، إذ لم نكن نعلم بأننا سنتواجد ببيت الحاج تيسير. كان عدد المشاركين في إحياء السهرة كثير. أجواق عصرية وشعبية وشيخات وما إلى ذلك. وعندما طلب منا منظم الحفل الصعود إلى المنصة، أجبناه بأنه لا يمكن أن نغني إلا بعد انتهاء

الحاضرين من تناول طعام العشاء، حتى يتمكنوا من الإستماع إلينا باهتمام. وقد كانت هذه السهرة مناسبة لربط الإتصال برجال الأعمال بمدينة الدار البيضاء، الذين أصبحوا يتهافتون على طلب مجموعة أوسمان، ويتطلعون لسماع أغانيها كل أسبوع. وفي بداية كل حفل، يقوم الأستاذ إبراهيم أخياط بقراءة نشيد الجمعية وهو:

أيتما د يستما ليسد نمون

تاغلاغال ن تاسوتنين زرينين اخذ ئغران

انضفر تابرات ليف موتن ئنمغورن زرينين

اغاراس لي ضين ئجاوان دلن اخت

رات نصفض نضيت ات ئزركويان

رحلة تارودانت

تم استدعاؤنا لإحياء حفل في مهرجان الصناعة التقليدية السنوي بمدينة تارودانت. سافر جميع أفراد المجموعة إلى المدينة المذكورة على أن نلتقي في المكان والوقت المحدد. وبما أنني كنت المسؤول عن الآلات الموسيقية الكهربائية، صاحبت الأستاذ إبراهيم أخياط في سيارته الصغيرة. وخلال هذه الرحلة الطويلة، تمكنت من التعرف أكثر على هذه الشخصية، حيث تطرقنا لعدة مواضيع ذات الصلة بالثقافة الأمازيغية، وكم كنت معجبا بأفكاره وأسلوبه في التوضيح والإقناع بالحجة والموضوعية. كان يتحدث عن ضرورة صحوة الوعي بالذات الأمازيغية للمغرب، والتعبير بكل الأشكال في مواجهة عوامل الطمس والتغييب والتهميش للهوية الأمازيغية، ومن بين هذه الأشكال الإهتمام بالموسيقى الأمازيغية. كما عبر لي على أن الأمازيغية ليست قضية عرق خالص أو نزعة انغلاقية، بل هي قضية جميع المغاربة دون تمييز، وأنها القضية التي يمكن أن تعيد الإعتبار لمغرب مستقل ومتحرر من أية تبعية للمشرق أو الغرب. لهذا يتعين تكريس مبدأ التعدد والاختلاف، وتجاوز الفكر الأحادي الذي ساد لمراحل طويلة، وأن الأمازيغية مسؤولية وطنية، وأن الهوية الوطنية هي هوية أمازيغية أرضا و شعبا و حضارة، وأن العمود الفقري للمجتمع المغربي هو الأمازيغية. كما وضح لي بأنه من غير المعقول ألا نهتم بها ولو من الناحية الفنية وإعادة الإعتبار لهذا الفن الجميل والأصيل. كما أخبرني أن

الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي منفتحة على الآخر، وأن الفكر المغربي الذي يشكل الفكر الأمازيغي هو الفكر المنفتح مثلما وقع عبر التاريخ والفكر الأمازيغي يرفض الإقصاء و يطالب بموقعه في إطار التعدد الثقافي والفكري.

بعد هذا الحديث، شعرت أنني أمام مرحلة إثبات الذات بالموسيقى أولا وهي مسؤولية تاريخية وجسيمة، واقتنعت بخدمة الأمازيغية كأساس للهوية الوطنية، والموسيقى الأمازيغية كأساس للموسيقى المغربية. وقد جاء هذا الإقتناع من طرف معرب لم يبلغ أنذاك سن الأربعة وعشرين سنة، ولم يكن يعي بالتحولات التي طرأت على حياته الفكرية، وأن وضعيتي السابقة هي وضعية كل المغاربة الذين لا يهتمون بعد بثقافتهم الأمازيغية، وكأن الثقافة لا تهم إلا فئة واحدة. و هكذا أدركت أنني لست بفنان ضمن فرقة موسيقية فحسب، بل أحمل على عاتقي مسؤولية تاريخية.

وبعد الحفل الذي عرف نجاحا كبيرا، واجهنا مشكلة تتعلق بالمغني العموري ابن المنطقة، الذي له معارف كثيرة بالمدينة، الشيء الذي يؤثر على أسلوبه وتصرفاته، بحيث يجد نفسه ما بين السير على نهج أوسمان أو تلبية رغبات أصدقائه المعربين، أي الغناء كما كان يفعل دائما وهو التقليد بالفرنسية والعربية والإسبانية. مما يغضب أفراد مجموعة أوسمان التي لها طابع خاص و توجه ثابت و واضح. فقد حاول بعض المشاغبين أثناء الحفل القيام ببعض الأعمال الإستفزازية عندما أخذوا يصيحون ويطالبون بالغناء باللغة العربية. وهذا التشويش لم يؤثر على مسار أوسمان. مباشرة بعد الحفل، رجع أعضاء الفرقة إلى مدينة الرباط من أجل استئناف التداريب والبرنامج المسطر، وبقي العموري وحده بتارودانت لمدة طويلة، لدرجة أننا أصبحنا مرة أخرى بدون مغني للفرقة كما وقع في السابق. وخلال هذه المدة، استغل أصدقاء المعني بالأمر الفرصة لكي يتراجع عن التوجه الجديد، وأن يعود إليهم وإلى أغانيهم باعتبار أن الموسيقى عالمية، أما الأمازيغية ما هي إلا فولكلور متخلف. ولهذا قام

رئيس الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي بالتدخلات اللازمة، من أجل إقناع العموري لمواصلة العمل داخل المجموعة، باعتبارها المدرسة الوحيدة التي يمكن أن يفجر فيها طاقاته الإبداعية. وهكذا تم عقد اجتماع مطول وهام بمنزل السيد أخياط، الذي استطاع أن يعيد إلى نفوسنا جميعا الوعي بالمسؤولية، والتخلي عن التردد والشكوك فيما نحن بصدد التأسيس له. وكان بعض أفراد المجموعة يريدون الإستغناء عن خدمات الأستاذ إبراهيم أخياط وعن الجمعية، والإنطلاق بكل حرية في فضاء الموسيقى. ولكن لم يكن ذلك هو توجهي، نظرا لصغر سننا أنذاك وقلة التجربة. لذلك كنا بحاجة ماسة إلى التأطير والتوجيه، وعلى هذا الأساس كنت من المقربين للأستاذ إبراهيم أخياط .

تسجيل أسطوانتين لأوسمان

في مارس 1976، ذهبنا إلى مدينة الدار البيضاء قصد تسجيل أربع أغاني: وهي تاكنداوت - تيلاس - ياغاغ ئيريفي - غساد مايوفا. وذلك بعد شهور وشهور من التداريب المكثفة والإحتكاك بالجمهور والتجربة والقناعة. ولا زلت أتذكر الأستوديو المخصص للتسجيل، الذي يتضمن معدات بسيطة، ويقع في إحدى العمارات في حي شعبي، تسمع بداخله الأصوات الخارجية من حين لآخر. إلا أن ذلك لم يحل دون تسجيل الأغاني بالصبر والعزيمة والتريث. وبعد مرور الأيام، تمت صناعة الأسطوانة الأولى ثم الثانية بفرنسا. وسرعان ما أن ظهرت الأسطوانة الأولى التي كانت تضم أغنية تاكنداوت، حتى تهافت عليها معدو البرامج بالإذاعة «قسم اللغة الفرنسية» بالرباط، بحيث كانت تداع الأغاني بتلك المحطة بصفة يومية، جعلت أوسمان ظاهرة السنة ومجموعة متميزة. والملفت للإنتباه، هو أن الذين اهتموا بهذا النوع من الغناء لا يتكلمون الأمازيغية منهم على سبيل المثال لا الحصر: المكي ابريطل، وسعيد الجديدي، وسعيد الزياني، وامحمد البحيري، وعلي حسن، وأليفي حفيظ وآخرون. وقد استدعانا الأخ سعيد الجديدي إلى برنامجه التلفزي (زايد ناقص) حيث قدمنا الأغاني الأمازيغية بشكل عصري ولأول مرة على شاشة التلفزة «بالأبيض والأسود». كانت هي بداية الشهرة التي عرفتها المجموعة، بحيث كانت تقطع المراحل بسرعة وثبات، وتستقطب جميع فئات الشعب المغربي من ناطقين

بالأمازيغية وغير الناطقين بها، وسكان المدن والقرى، شمال المغرب ووسطه وجنوبه، شرقه وغربه. إنها مجموعة أوسمان لجميع المغاربة. دخلت أغاني مجموعة أوسمان خزانة الإذاعة والتلفزة المغربية، وفرضت نفسها بأسلوبها وشخصيتها، وجاءت ردود فعل الصحافة المكتوبة التي أعجبت بهذا الشكل من الغناء، وهذا الإهتمام بالموسيقى الأمازيغية الذي جر معه تهافت الأدباء والشعراء الناطقين بالأمازيغية، وكذا الكتاب للإدلاء بآرائهم والتعريف بهذا الفن ونفض الغبار عن هذه الثقافة. بعد ذلك قدمنا بعض الحفلات بنادي الأسرة بالمسرح الوطني محمد الخامس في شتنبر 1976، تمهيدا للدخول الرسمي إلى المسرح الذي لم تبرمج فيه أية مجموعة موسيقية أمازيغية منذ تأسيسه.

غلاف لأول أسطوانة من فئة 45 لفة لمجموعة أوسمان سنة 1976

غلاف الأسطوانة الثانية من فئة 45 لفة لمجموعة أوسمان سنة 1976

* الغلافين من تصميم الفنان محمود ميگري

أول سهرة بالمسرح البلدي بمدينة الدار البيضاء

أمام النجاح المنقطع النظير والذي أخذ وثيرة سريعة غير متوقعة، تم استدعاؤنا يوم 25 شتنبر 1976 للمشاركة في سهرة بالمسرح البلدي بالدار البيضاء وكانت مجموعة تكدة هي التي قامت بتنظيم هذا الحفل. وفعلا ذهبنا إلى مدينة الدار البيضاء، وكان البرنامج الذي اعتمده المنظمون هو أن يبدأ الحفل بمجموعة أوسمان، على أن تكون الفترة الثانية مخصصة لمجموعة تكدة. وأن يتخلل الحفل بعض السكيتشات للثنائي باز و بزيز. وقبل أن يفتح الستار، قمت بعزف النغمة الأمازيغية كما هو معتاد من أجل ضبط الآلات الوترية، وكنت أسمع داخل القاعة ردود فعل الجماهير

الغفيرة التي تنادي و تصيح أوسمان أوسمان... وما أن فتح الستار حتى اهتزت جنبات المسرح، فننادي الجمهور ايتما ديستما هاياغ نوشكاد... و نؤدي الأغنية الأولى، تم تليها رائعة تاكنداوت، ثم الدونيت وتابرات، و لم نكن نتصور أن النجاح سيصل إلى هذا الحد وهذا المستوى.

وبعد الإستراحة جاء دور مجموعة تكدة ، فلم يرد الجمهور الغفير سماع أغانيهم، بل كانوا يقاطعونهم بالصفير والصياح والمناداة جماعة من أجل سماع أوسمان. وهذا ما استدعى تدخل الثنائي باز وبزيز من أجل تهدئة الوضع، فوعدا الجمهور بعودة أوسمان إلى الخشبة بعد حصة تكدة. لقد كانت كذبة على الجمهور حتى يعطي الفرصة للمجموعة الثانية كي تؤدي أغانيها. وبعد الحفل، اجتمع أعضاء مجموعة تكدة للقيام بعملية حساب المداخيل والمصاريف، وأخبرونا بأن الحفل تطلب مصاريف كثيرة، وأن نصيبنا منه هو 300 درهم. لم نقبض المبلغ الذي لا يغطي حتى مصاريف نقل الآلات من الرباط، وقلنا لهم: لقد جئنا فقط للمشاركة وليس من أجل المال، وهذا هو شعارنا، يكفينا هذا النجاح وهذا الإهتمام الفائق بهذا اللون من الغناء وهذا التعطش للأصل.

مجموعة أوسمان تتسلق الحائط للمشي فوقه بثبات و اتزان

الجولة الفنية

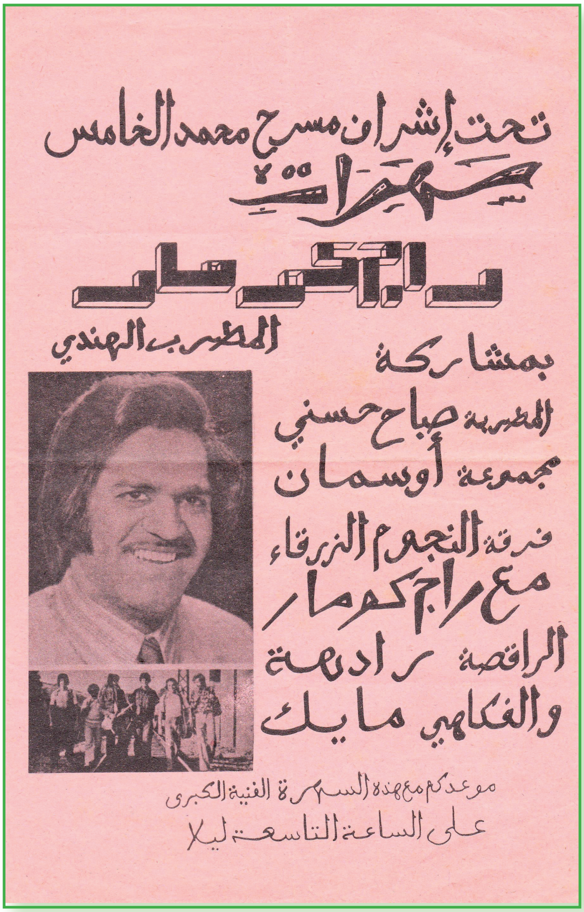

كانت فرقة أوسمان قد تعاقدت مع أحد منظمي الحفلات للقيام بجولة فنية عبر التراب المغربي. وذلك بمشاركة الفنان الهندي راج كومار والراقصة رادهة والفكاهي مايك والمغنية صباح حسني. بالنسبة للراقصة، فإنها مغربية تسكن بإحدى الأحياء الشعبية لمدينة الرباط. وبحيث أن راج كومار كان يريد الرقص خلال الحفل، فقد تم إسناد هذا الدور إلى تلك الفتات التي كانت تصاحب أغاني الفنان الهندي بالرقص وكأنها هندية.

بدأت الجولة يوم 27 شتنبر 1976 بسينما بلاص بالقنيطرة. أذكر أن بعض المعجبين بالأغاني الهندية اتجهوا

إلى الكواليس بعد انتهاء الحفل لالتقاط الصور مع الفنان الهندي والراقصة التي عانت كثيرا من المضايقات، فاقتربت مني هامسة:» أبعد عني هؤلاء الباسلين وإلا شتمتهم وفرشخت ...»، فأجبتها بأنها ستضرب عرض الحائط تجاوب الجمهور معنا إذا ما تكلمت بالعربية.

أما مجموعة أوسمان، فكان برنامجها يبدأ دائما بعد الاستراحة، أي قبل ختام السهرة. وبذلك يظل الجمهور متعطشا لسماع الأغاني الأمازيغية طوال السهرة. وهو ينادي ويطالب بظهور أوسمان على الخشبة.

ثم جاء دور مدينة الرباط حيث أقيم الحفل بسينما الملكي، وقد كانت المدينة في ذلك اليوم في غليان وترقب للسهرة، حيث امتلأ ت القاعة عن آخرها، وظل الجمهور خارج القاعة ينتظر عساه أن يظفر بتذكرة للدخول ولوعن طريق السوق السوداء.

أما سهرة المسرح البلدي بمدينة الدار البيضاء، فقد تمكنا من التعرف على عدد هائل من الفنانين الذين أبوا إلا أن يحضروا الحفل لمشاهدة هذه الفرقة الظاهرة.

ثم تأتي سهرات الجديدة وأسفي والصويرة. أما في مدينة أكادير، وجد الفنان راج كومار صعوبة مع الجمهور الذي لم يكف عن المطالبة بسماع أوسمان، مما دفع بمنشط السهرة إلى التدخل كل مرة حتى يطمئن الجمهور، وليترك المغني الهندي يقدم عرضه في هدوء. وبعد الإستراحة، وما أن أعلن منشط الحفل عن وصول أوسمان إلى الخشبة حتى اهتز المسرح، ولم يسكت الجمهور إلا بعض مرور وقت طويل، كنا ننتظر فيه الهدوء حتى نبدأ الحفل. وبعد السهرة اتصلت بنا عدة شخصيات من أكادير قصد إحياء حفلات خاصة وعمومية.

أما عن سهرة مدينة مراكش، فقد أصبت بوعكة صحية على الخشبة، وتمالكت نفسي حتى انتهى الحفل. وقد توافد على الكواليس جمهور غفير من المعجبين لأخذ صور مع المجموعة والتحدث إليها. إلا أنني لم أتمكن من البقاء بالمسرح، فتوجهت على وجه السرعة إلى الفندق، و زاد الألم مع مرور الوقت. ولم أتمكن من النوم صحبة صديقي بلعيد الذي كان يواسيني، ويطلب مني الصبر إلى حين الصباح لزيارة الطبيب الذي أعطاني بعض المسكنات. إلا أن الألم زاد شيئا فشيئا، فاتصل بي أحد المعجبين من أبناء مراكش المسمى شكيب، وقام بالترتيبات اللازمة من أجل معالجتي بالمستشفى. وفعلا تم إدخالي إلى قسم الإنعاش، لأن حالتي الصحية تدهورت بسرعة، وأجريت لي عملية جراحية حيث بقيت بالمستشفى زهاء ثلاثة أسابيع. وطبعا توقفت الرحلة، ولم نزر المدن الثمانية المتبقية، وعاد أعضاء المجموعة إلى الرباط، وبقيت في مراكش رفقة الصديقين بلعيد واليزيد.

مجموعة أوسمان بمدينة مراكش
من اليمين إلى اليسار سعيد بيجعاض- طارق المعروفي- تم شكيب أحد المعجبين المراكشيين ثم بلعيد العكاف و القرفي اليزيد و سعيد بوتروفي

وبعد فترة النقاهة عدت إلى الرباط، ولا أخفي أنني كنت عازما على التوقف النهائي عن العمل في المجال الفني نظرا للمحنة التي تعرضت إليها. وفي أحد الأيام، زارني أفراد المجموعة في بيتي واعتذروا لي لعدم مكوثهم طويلا بمراكش لمؤازرتي وأنا طريح الفراش، وصرحوا لي بأنهم لن يواصلوا المشوار إلا وطارق المعروفي بجانبهم.

لقد كانت تلك نصف الرحلة الفنية، وإنها مدينة مراكش الحبيبة التي اكتشفت رجالها و طيبوبتهم واهتمامهم بالفن والفنانين.

رحلة أوربا

اتصل بنا أحد منظمي الحفلات لإحياء سهرتين يومي 4 و 12 دجنبر 1976 بباريس بمشاركة ناس الغيوان. وقعنا عقدا من أجل ذلك، وبعد ذلك فوجئنا لما علمنا بأن ناس الغيوان سيسافرون صحبة فنانين آخرين، وليس مع مجموعة أوسمان. وبالرغم من وجود عقد موقع من الطرفين، ومهما أن الطرف الآخر لم يلتزم بالعقد، لم نعط الأهمية للموضوع، لأننا اعتدنا على مثل هذه التصرفات والخروقات، إذ يكفينا ما نشرته الجرائد أنذاك، حيث كتبت جريدة العلم بتاريخ 5 دجنبر 1976 مقالا مطولا تحت عنوان: «بين رحلة الرايس الحاج بلعيد ورحلة مجموعة أوسمان-39 سنة.»

وفي فبراير 1977، وقعنا عقدا جديدا لإحياء سهرات في كل من فرنسا وبلجيكا. وهكذا سافرنا يوم 3 فبراير 1977 إلى الديار الفرنسية صحبة ناس الغيوان والإخوين ميكري (محمود ويونس).

قبل الرحلة، كان هناك لقاء مع الأستاذ إبراهيم أخياط الذي زودنا بمعلومات وتنبيهات وتوجيهات حتى نكون في المستوى المطلوب، وحتى نبرهن أن لدينا رسالة تاريخية يجب تمريرها. لقد كان عمرنا أنذاك لا يتجاوز 25 سنة، إلا أن أفكارنا كانت تتجاوز هذا السن بكثير، نظرا لرزانتنا وتريثنا وطريقة الحديث عن القضية

الأمازيغية، وأسلوب التطرق إلى المواضيع المتعلقة بالتراث الأمازيغي. وقد حدد لنا السيد أخياط كتابة المهام المنوطة بكل واحد منا، بحيث كانت مهمتي داخل المجموعة هي الجانب المالي والإهتمام بالآلات الموسيقية.

عندما وصلنا إلى باريس، كان في استقبالنا منظم الحفلات ومسؤولون آخرون حيث رافقونا إلى مقر إقامتنا هناك. وهنا بدأنا نتعرف عن قرب على الإخوين ميكري (محمود و يونس) وكذا أفراد مجموعة ناس الغيوان. لم نكن نعتبر أنفسنا أقل أو أكثر منهم شهرة، فلكل منا شكله وخصوصيته وأسلوبه وجمهوره وظروف نشأته.

مجموعة أوسمان عند وصولها إلى الفندق بباريس
في الصورة من اليمين إلى اليسار: العموري- بلعيد - عمر السيد- المرحوم باطما - بوتروفين - طارق المعروفي - بيجعاض و أحد المعجبين

يوم 5 فبراير، كان موعد أول سهرة بمسرح الأولمبيا بباريس، والبرنامج المسطر، هو أن يبدأ الحفل بالفنان محمود ميكري ثم أوسمان. وبعد الإستراحة، يأتي دور يونس ميكري ثم ناس الغيوان. وقبل كل أغنية، يقوم امبارك العموري بإلقاء كلمات الأغاني كما كان مقررا ثم نبدأ بأغنية:

ءيستما د يستما-

هاياغ نوشكاد-

نبادل ئيغاراسن-

نبي ئيمودال-

نزكر ئيسافن-

نيويد ءامارك ئيكويان-

ثم الأغنية الثانية والثالثة وهكذا.

في مسرح الأولمبيا لم نقدم الأغاني التي سجلناها في المغرب لكونها كانت مشهورة، لكن اعتمدنا على أغاني أخرى لتكون في الألبوم الذي كانت تعتزم مجموعة أوسمان إنتاجه انطلاقا من تسجيل السهرات داخل المسرح. وبعد سماع الشريط، لم نوافق على الألبوم الجديد لأسباب تقنية. ورغم ذلك قام منظم الحفلات ببيعه دون علمنا أو استشارتنا إلى إحدى الشركات بالدار البيضاء، وكان عبارة عن أسطوانة من فئة 33 لفة.

ونعود إلى مسرح الأولمبيا حيث لم نكن نتوقع هذا النجاح الكبير، وكيف لا وأننا لم نذق ولو مرة طعم الخيبة أو الفشل. إن الإيمان بالقضية الأمازيغية، وبالمسؤولية الملقاة على عاتقنا، جعلنا نتحمل هذا الثقل الكبير. وفي اليوم الموالي، تم تقديم السهرة الثانية بنفس المكان ونفس البرنامج والتي لاقت بدورها نجاحا باهرا. لقد التقينا بعد ذلك بأفراد من الجالية المغربية وتم استدعاؤنا إلى عدة لقاءات ومأدبات عشاء، إلا أننا غالبا ما كنا نعتذر بلباقة عن اللقاءات التي من شأنها أن تؤثر على سمعتنا ومكانتنا، لأننا كنا أصحاب رسالة وأصحاب هدف معين، ولم نأت إلى فرنسا من أجل النزهة أو التمتع.

على خشبة مسرح الأولمبيا قبل الحفل
من اليمين إلى اليسار: بلعيد - اليزيد - بوتروفين - امبارك - بيجعاض - طارق

غلاف الأسطوانة من فئة 33 لفة مسجلة بمسرح الأولمبيا سنة 1977

ولقد لفتت انتباهنا فتاة جميلة اسمها فاطمة، كانت تدعي أنها طبيبة مغربية مزدادة بفرنسا، بحيث لم تفارق المجموعة منذ وصولها إلى باريس. إعتبرنا الأمر في البداية أنها من المعجبات بإنجازات مجموعة أوسمان، إلا أنه عندما استدعتنا إلى بيتها حيث تعيش هي وإخوتها البنات و ذلك لأكل الكسكس المغربي في العشاء، اتضح لنا شيء آخر. وبعد انتهائنا من تناول الطعام، أخذت المعنية بالأمر تتطرق معنا إلى الظروف السياسية المغربية والمشاكل المطروحة. لقد ذكرت فيما سبق اللقاء الهام الذي أجريناه قبل سفرنا إلى الديار الفرنسية مع الأستاذ إبراهيم أخياط، حيث حذرنا من اللقاءات المشبوهة عن قصد أو عن غير قصد. وفعلا قمنا بالرد على الآنسة، بأننا مجموعة موسيقية لا يهمها إلا الجانب الفني، بعيدة كل البعد عن القضايا التي لا تدخل في مجال اختصاصها. وأمام ردود فعل أفراد مجموعة أوسمان، شعرت فاطمة بأنها أمام جماعة من اللامبالين بالجانب السياسي، أو أنها لم تؤدي دورها بإتقان، أو أنها فشلت في المهمة الرسمية التي أنيطت بها.

بلعيد العكاف و اليزيد القرفي و طارق المعروفي بباريس سنة 1977

بعد ذلك توجهنا إلى بروكسيل ببلجيكا، وقدمنا حفلا رائعا بقاعة الفنون الجميلة يوم 18 فبراير 1977. وقد عادت مجموعة ناس الغيوان بعد الحفل إلى باريس، بينما بقينا مع الإخوان ميكري ببروكسيل بنفس الأوطيل لأكثر من أسبوع إلى أن يأتي موعد سهرة مدينة ليون بفرنسا.

وما أثار انتباهي خلال تواجدنا ببروكسيل، هو ذلك المطعم الغريب الذي كنا نتناول فيه الوجبات، بحيث كنا ندخل إليه في الثانية عشر صباحا من أجل الغذاء، فيتم تقديم الطابق الأول بعد مضي وقت طويل جدا، ثم الثاني بعد مرور زمن غير قصير. وعندما ننتهي من الوجبة، نخرج من المطعم على الساعة الخامسة بعد الزوال بدون مبالغة. أما العشاء فنفس الشيء، ندخل المطعم على الساعة الثامنة مساء، لنخرج منه في ساعة متأخرة من الليل .أخذ منا هذا المطعم العجيب كل وقتنا في بروكسيل.

ومع تواجدنا ساعات وساعات بالمطعم، ارتأى صاحب المطعم وزوجته أن ينظمان حفلا في إحدى القاعات، فوافقنا على ذلك. ونظرا لقلة الخبرة وعدم الدعاية الكافية تم إلغاء الحفل.

طارق المعروفي و اليزيد القرفي و بلعيد العكاف ببلجيكا

عدنا على متن الحافلة من بروكسيل إلى ليون مباشرة. وفي الحدود البلجيكية الفرنسية، أوقفنا رجال الجمارك للإستفسار عن الآلات الموسيقية المتواجدة في الحافلة. ورغم أننا شرحنا لهم بأنه سبق أن كنا في فرنسا وقدمنا سهرتين بمسرح الأولمبيا، ثم قدمنا حفلا في بروكسيل، وسوف نتجه صوب مدينة ليون من أجل حفل آخر. إلا أنه طلب منا أن نخرج جميع الآلات الموسيقية من الحافلة بما في ذلك (بناد ير) و(سنتير) ناس الغيوان، وذلك من أجل مراقبة عدد وحدات قياس الكهرباء، أي (الواطات) لكل آلة. كانت لحظة مضحكة، إذ كنا نتساءل كيف لنا أن نحدد (واط البندير)على سبيل المثال.

مجموعة أوسمان في الحدود الفرنسية البلجيكية

بعد ذلك تم إخلاء سبيلنا، ووصلنا إلى مدينة ليون حيث قدمنا حفلا في قاعة كبيرة آية في الجمال تسمى قصر الشتاء، وكان هذا الحفل هو الآخر ناجح بكل المعايير.

قاعة قصر الشتاء بمدينة ليون

وقبل عودتنا إلى المغرب، اتفقنا مع الإخوين ميكري وناس الغيوان أن نربط الإتصال بيننا، وأن نستمر في هذا التوجه الناجح، ونضع اليد في اليد من أجل النهوض بالفن المغربي وبالثقافة المغربية ككل. ولا أخفي عليكم أن فاطمة كانت من بين المودعين، لأنها لم تفارقنا ولو لحظة واحدة.

في مطار الدار البيضاء، وجدنا في استقبالنا الأستاذ إبراهيم أخياط وبعض أعضاء الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، الذين جاؤوا ليقدموا لنا التهاني لهذا الإنجاز العظيم. لقد راهن الأستاذ إبراهيم أخياط على الموسيقى الأمازيغية باعتبارها رافعة للثقافة الأمازيغية.

الإنطلاقة

مباشرة بعد الرحلة، تم استدعاؤنا من طرف طلبة كلية الطب بالدار البيضاء لأجل إحياء حفل موسيقي، بحيث امتلأت المدرجات عن آخرها وكان هذا الحفل بمثابة التحام الطلبة بأفراد مجموعتهم الفنية المفضلة. وقد دخلت أنذاك في غيبوبة تامة، إذ لم يخطر ببالي أن تصل المجموعة إلى هذا المجد وفي وقت وجيز. ثم الملاحظة الثانية، أنني كنت أجد صعوبة في الرد على المعجبين والمتتبعين للمجموعة والذين كانوا يتكلمون معي باللغة الأمازيغية، فكنت أجيبهم باللغة الفرنسية أو بالعربية الدارجة. ذلك أنه لم يلاحظ أحد أنني لا أتكلم الأمازيغية، بل إن بعضهم كان ينعتني ويتهمني بالغرور وعدم الإعتزاز باللغة الأمازيغية. وفي واقع الأمر أنني من أكبر المدافعين عنها.

وبعد الحفل، هب الجمهور لمعانقة أفراد المجموعة، فبقيت لوحدي أمام آلة (الأورغ)، ولم أتجه إلى الجمهور للتحية. لقد كنت تارة أتساؤل مع نفسي.. من أكون ؟ .. وتارة أخرى أعود للتفكير فيما جرى أمامي ثم أنتبه إلى الأستاذ إبراهيم أخياط الذي لا تخفى عنه خافية، وربما كان يدرك ما كنت أفكر فيه، فجذبني من يدي وقال لي: (المعروفي، حيي جمهورك. إنه جاء من أجلك. إنه منك وإليك). وهكذا بدأت أصافح الجمهور بكل حرارة وتقدير.

وتوالت السهرات والحفلات، وبدأت المجموعة تقدم الحفلات بمشاركة الفنانين الأمازيغيين أمثال الرايس بيزماون، والرايس جامع الحاميدي، والرايسة رقية الدمسيرية والرايسة فاطمة تيحيحيت، والرايس محمد الدمسيري وآخرون.

ومن أهم الحفلات التي قدمتها المجموعة والتي كان لها طابعا خاصا، أذكر على سبيل المثال إحياء حفل تحت الخيام خلال موسم سيدي الشريف ببويكرة إقليم أكادير، وكذا الحفل الذي أقيم بإحدى القاعات التابعة للمكتب الشريف للفوسفاط بخريبكة أمام جمهور عريض من العمال. وكانت المجموعة لا تحيي السهرات الغير مرغوب فيها، والتي تتعارض وتوجهاتها ولو تحت طائلة الإغراءات المادية. ومن هنا أتذكر أننا كنا في سهرة في إحدى القاعات الكبيرة بمدينة مكناس، وبعد الحفل اتصل بي أحد رجال الأعمال بحكم أنني كنت أمين مال المجموعة، وذلك من أجل إحياء حفل بمناسبة ما في الشركة التي يديرها بمدينة القنيطرة، واقترح علي مبلغا مهما جدا من أجل ذلك، بل أمدني بشيك لهذا الغرض. فأجبته بأنني سأناقش الأمر مع أعضاء المجموعة، وضربنا موعدا في الفندق الذي كنا نقيم فيه. وبعد مناقشة العرض، قررنا جميعا عدم المشاركة في الحفل. وهكذا أرجعت الشيك إلى صاحبه مع كامل الاعتذار، لأن مجموعة أوسمان لا تحيي سهرة ما إلا بعد الإمعان والتدقيق في اختيار المناسبات.

وأتذكر كذلك أنه طلب منا ألا نغادر بيوتنا وأن نظل مجتمعين في مكان واحد بمدينة الرباط، وذلك من أجل إحياء حفل بالقصر الملكي.وبعد أكثر من أسبوع لم نتوصل بأية دعوة. وبما أنني كنت أعرف بعض الأصدقاء بالجوق الملكي، اتصل بي أحدهم وطلب مني أن أزوده ببعض المعلومات الفنية والموسيقية بخصوص أغنية تاكنداوت. وبعد مدة، وصل إلى علمنا أن الجوق الملكي هو الذي قدم الأغنية.

أما أهم حفل زفاف أحييناه، فقد كان لأخينا وصديقنا الكاتب والصحفي الفنان منير الرحموني، الذي كان ولا زال من أشهر الصحفيين المتتبعين للفنانين. كانت

جريدة الرأي المكتوبة باللغة الفرنسية ذات صيت كبير في السبعينات، وكان المعني بالأمر يخصص الصفحات للشباب وكذا للميدان الفني. وقد كتب الكثير عن مجموعة أوسمان، وكان دائم الحضور في كل تظاهراتها ولقاءاتها...

وهكذا تم استدعاؤنا إلى حفل زفافه في مارس1977 بمدينة سلا. وكان من بين المدعوين ناس الغيوان، وسميرة بنسعيد، وغيثة بنعبد السلام، وعبد الوهاب الدكالي، والمرحوم الحياني، والإدريسي وآخرون. ومما ميز الحفل، هو أننا أدينا أغنيتين بطريقة مشتركة ولأول مرة مع ناس الغيوان، فكانت الأغنية الأولى لمجموعتنا وهي (أحواش الليمون)، والثانية لناس الغيوان (سبحان الله صيفنا ولا شتوا).

وقد كتب الصحفيون المتواجدون في الحفل مقالات كثيرة عن هذا العرس الرائع، الذي كان فعلا فرصة للقاء الفنانين الذين جاؤوا للإحتفال بزفاف صحافي وفنان يحب الفن والفنانين .

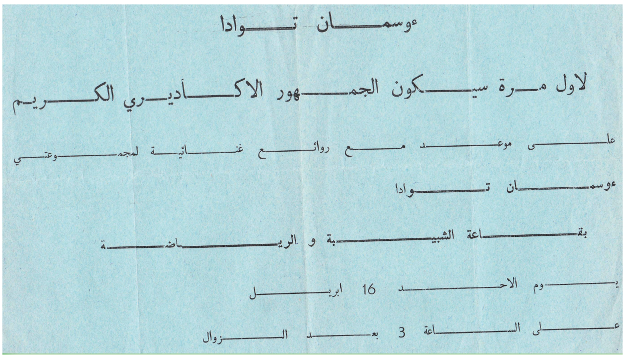

اوسمان تواداا
لاول مرة سيكون الجمهور الاكاديري الكريم
على موعد مع روائع غنائية لمجموعتي
اوسمان تواداا
بقاعة الشبيبة و الرياضة
يوم الاحد 16 ابريل
على الساعة 3 بعد الزوال

مسرح محمد الخامس
THEATRE MOHAMED V
PRESENTE: INTER MUSIC
في
سهرة عمومية
SOIREE PUBLIQUE
OUSMANE اوسمان
IZENZARNE ايزنزارن
بمشاركة :
الرايس جامع الحامدي
RAISS JAMAA EL HAMIDI
والرايسة زهرة الدمسيرية والمجموعة
RAISSA ZARHA DAMSIRIA
و الثنائي الضاحك شاك او مشكاك
LE DUO CHAK OU MCHKAK
يوم الجمعة 26 ماي 1978 على الساعة التاسعة مساء بمسرح محمد الخامس
LE 26 MAI 1978 à 21 H AU THEATRE MOHAMED V

المسرح البلدي
يقدم للجمهور الكريم
يوم الخميس 4 ماي 1978 على الساعة 9 ليلا
السهرة
الفنية
الكبرى
مع
مجموعة بزماون
و
مجموعة
اوسمان

مفاجأة في المعرض الدولي 27
مسرح المعرض
OUSMANE أوسمان
بوشعيب

INTER MUSIC
Présente
سهرة فنية متنوعة
Soiree Artistique Variée
Avec بمشاركة
LE GROUPE OUSMANE مجموعة اوسمان
الرايسة فاطمة تحيحيت
RAÏSSA FATIMA TIHIHIT
الرايس محمد الدمسيري
RAÏSS MOHAMED DEMSIRI
ابو الصواب
ABOUSSAOUAB
يوم الجمعة 23 ماي 1980 ابتداء من الساعة التاسعة
Le Vendredi 23 Mai 1980 A partir de 21 h
بسينما الملكي الرباط
AU CINEMA ROYAL - RABAT

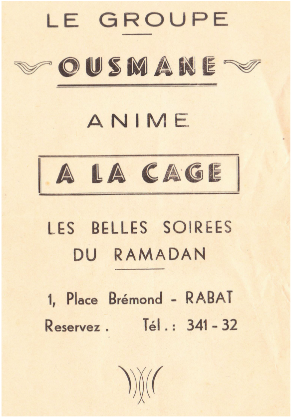

LE GROUPE
OUSMANE
ANIME
A LA CAGE
LES BELLES SOIREES
DU RAMADAN
1, Place Brémond - RABAT
Reservez . Tél. : 341 - 32

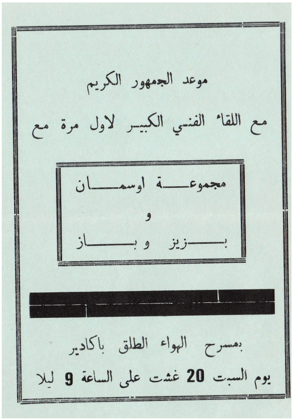

موعد الجمهور الكريم
مع اللقاء الفني الكبير لاول مرة مع
مجموعة اوسمان
و
بزيز و باز
[redacted]
بمسرح الهواء الطلق باكادير
يوم السبت 20 غشت على الساعة 9 ليلا

لقاء فني
مع العربي بن تركة

كان الأستاذ العربي بن تركة يعد برنامجا فنيا بالتلفزة المغربية كل أسبوع اسمه «مجلة الثقافة والفن». وكان هذا البرنامج هو النافذة الوحيدة للتعرف على الفنانين، ومسايرة أعمالهم وإنتاجاتهم و إبداعاتهم. وقد تمت استضافتنا في هذا البرامج، ولم نحدد مع معده الأسئلة والمواضيع التي ستطرح، بل أردنا أن نبرهن على أننا مستعدون للإجابة بتلقائية على كل ما سوف نتطرق إليه من مواضيع. واستعدادا لهذا البرنامج، اتصل بنا الأستاذ إبراهيم أخياط من أجل دراسة ومناقشة جميع الأسئلة المحتمل طرحها في البرنامج.

وقد كلف إبراهيم أخياط كل عنصر من أوسمان للإجابة على محور من المحاور. ومن بينها السؤال الذي كان يردده الجميع أنذاك، وهو موضوع الغناء باللغة الأمازيغية. وقد شرفني الأستاذ بالإجابة على جميع الأسئلة التي تدخل في هذا الإطار، كما كان دور بلعيد العكاف الإجابة على المواضيع المتعلقة بالمقامات والإيقاعات، أما دور العموري، فكان هو الحديث عن أغاني الروايس وتأثير هذه الأغاني على المجموعة.

وجاء يوم التصوير، وكما كان متوقعا، كان أول سؤال هو: «لماذا تغني مجموعة أوسمان بالشلحة». حينها بادرت بالجواب، وهو «أن أوسمان مجموعة مغربية تغني باللغة الأمازيغية، وهذه هي لغة البلاد، كما أن لها قواعدها وحروفها المسماة بتيفيناغ، وقد تفرعت عنها لهجات بحكم قلة التواصل...»

هذا تصريح في التلفزة المغربية في السبعينات، ولا زلت أحتفظ بالتسجيل الصوتي إلى يومنا هذا.

أوسمان ومجموعة بيزماون وبونصيربالمسرح البلدي بالدار البيضاء سنة 1976

ومن خلال الإستجوابات، فقد عمدنا إلى تصحيح وتوضيح العديد من المصطلحات المتداولة، والتي من شأنها أن تسيء إلى الأمازيغية من قريب أو من بعيد.

- إن أوسمان تتحدث عن اللغة الأمازيغية وليس عن اللهجة أو اللهجات.

- إن أوسمان تتحدث دائما عن التراث الأمازيغي عوض الحديث عن الفولكلور. لماذا؟ لقد كان الفولكلور المغربي عبارة عن ملتقى سنوي بمدينة مراكش، يستقطب السياح للفرجة والمرح ولتنشيط إقامتهم. ولهذا فقد كان ينظر للثقافة الأمازيغية بالخصوص، على أنها ليست سوى مظهرا فولكلوريا بدائيا بالمفهوم التحقيري لهذه العبارة. وبسبب هذه النظرة الخاطئة التي تحط من قيمة هذه الثقافة، فسح المجال للباحثين الأجانب الغربيين الذين وجدوا الميدان خاليا من المنافسة. فاهتموا بها

اهتماما لا يخلو من النزعة الإستعمارية، لأن أبناء الوطن كانوا قد أهملوا هذا الجانب من الثقافة أو أنكروه.

– إن أوسمان تتحدث عن الأمازيغية عوض الشلحة أو البربرية. فقد نضيع في أزمة المصطلح وأصل الكلمتين أمازيغي وبربري. ولعل الأولى هي الأقرب لقلوب أصحاب الشأن من سكان شمال إفريقيا، إذ ينسبون أنفسهم إلى الأب الأول لسكان هذه المنطقة (أمازيغ) أو الرجل الحر. والثانية هي أكثر الكلمات إثارة للحقد في نفوسهم. وتعود إلى كلمة (بربار) التي أطلقها عليهم الرومان، وهي لفظة مأخوذة من اليونانيين القدماء، والتي كانوا يطلقونها على كل من لا يتكلم الإغريقية (بارباروس). وقد أطلقها الرومان على الأجانب الخارجين عن طاعة الإمبراطورية الرومانية ونفوذها العسكري.

ظهور مجموعة إزنزارن

كانت مجموعة إزنزارن متواجدة بأكادير ونسمع عنها وعن أغانيها، إلا أنها بقيت محلية الشهرة. وهكذا انتقل عمر السيد عضو «ناس الغيوان» إلى أكادير، ووعد بعض أفراد المجموعة بالمساعدة حتى يسجلوا أغانيهم. وفعلا سجلت مجموعة إزنزارن التي كانت تضم الفنانين عبد الهادي والشامخ أول شريط لها. ولم نفهم نوعية هذه المساعدة ولا أهدافها. أكانت مادية، أم لتكسير شوكة أوسمان أو لأن إزنزارن تغني على الطريقة الغيوانية بلسان أمازيغي

وفعلا حققت المجموعة نجاحا كبيرا. بعد ذلك مباشرة اتصل بنا بعض أعضاء مجموعة إزنزارن والتي كانت تضم الإخوين عزيز ومحمد الشامخ، وذلك من أجل أن نمد لهم يد المساعدة بعد الإنشقاق الذي حصل في المجموعة. ولهذا الغرض استدعيناهم للمشاركة في حفل أقيم بالمسرح الوطني محمد الخامس بالرباط. وقد ارتفع ثمن التذاكر في ذلك اليوم إلى أكثر من مائتي وخمسون درهم للتذكرة، بل وإن جنبات المسرح عرفت حالة استنفار، وبالتالي لقي الحفل نجاحا منقطع النظير.

وهكذا أصبح ناس الغيوان ينظمون سهرات لإزنزارن عبد الهادي انطلاقا من الدار البيضاء ، وأوسمان تنظم الحفلات لإزنزارن الشامخ انطلاقا من الرباط. وكل ذلك أدى إلى تألق المجموعتين، وظهرت بعدهما مجموعات أخرى، لكنها مع الأسف لم تسر في نفس نهج أوسمان، أي الإعتماد على الآلات الموسيقية الحديثة،

بل اقتصرت على الإيقاع ونهج المسلك البسيط حسب الإمكانيات الثقافية والموسيقية المتوفرة لديها. وكانت كل هذه المجموعات الموسيقية تحمل أسماء كأنها تلتقي كلها في فضاء نسق مشترك. إنه نوع من التكامل ولاسيما أن النبات في حاجة إلى جميع العناصر المناخية لينمو ويخضر.

يلاحظ أيضا أن جمهور مجموعتي إزنزارن ومن جاء بعدهما، كان يقتصر على الناطقين باللسان الأمازيغي. أما جمهور أوسمان فقد شمل الناطقين باللغة الأمازيغية وغير الناطقين بها أي جميع الشرائح والاتجاهات. وهذا ما كنا نصبوا إليه، لأن الثقافة الأمازيغية ملك لجميع المغاربة ولا تقتصر على فئة واحدة. ومن هذا المنطلق يجب على الجميع أن ينخرط في نفس الإتجاه للحفاظ على هذا التراث الجميل، لأنه ملك لنا جميعا والحفاظ عليه هو في حد ذاته حفاظ على الهوية.

تسجيل شريط غنائي
بمشاركة العنصر النسوي

صورة غلاف الكاسيط

بالرغم من معارضتنا لتسجيل الأغاني التي أديناها بمسرح الأولمبيا بباريس لأسباب تقنية. فقد تم بيع الشريط بدون استشارتنا إلى إحدى الشركات، وخرج إلى السوق و لم نتوصل ولو بسنتيم واحد. وليست المرة الأولى التي يتم استغلالنا بهذا الشكل. لقد تعودنا مثل هذه التصرفات الغير مسؤولة. ولهذا شرعنا في التداريب لإعداد ألبوم يضم ست أغاني، وقد أقحمنا العنصر النسوي، إذ التحقت بالمجموعة لهذه المهمة أربع مغنيات محترفات في الغناء الأمازيغي، وتم إيواؤهن في إحدى الفنادق لمدة تزيد عن شهرين. وكانت التداريب مكثفة قصد إنجاز عمل في المستوى، وكانت هناك أيضا عوائق تؤثر على سرعة الإنجاز، و ذلك راجع إلى نوعية الأغاني التي تم ترتيبها الموسيقي بطريقة متطورة، إضافة إلى الكورال الرجالي والنسوي. وقد تطوع

أحد الهواة الذين يسجلون موسيقى الآلة، لتسجيل الأغاني المذكورة حتى تكون موضوع الشريط. وهكذا تم التسجيل بالأستوديو القديم للتلفزة المغربية بالطابق العلوي للمسرح الوطني محمد الخامس. إلا أن التسجيل لم يرقى إلى طموحنا، فاتصلنا بإحدى الشركات بالدار البيضاء من أجل إعادة التسجيل،فتم ذلك وكانت صورة الغلاف تضم أعضاء المجموعة وكأنها فرقة رياضية تتأهب لمقابلة ما. أما الأصوات النسائية فكانت رائعة خلال أداء الأغاني. ومع الأسف لم يحظ الشريط بتوزيع فعال من طرف الشركة، كما لم تصاحب تلك الأغاني الجميلة حفلات أو دعاية.

سهرة تارودانت
ليوم 9 ابريل 1978

لقد استعدت مدينة تارودانت بما فيه الكفاية من أجل هذه السهرة، وذلك بعد النجاح المنقطع النظير الذي حظيت به المجموعة. امتلأ مكان الحفل عن آخره ساعات قبل موعد الحفل، وقد نضم منشط السهرة الشاعر أحمد سلوان أبياتا شعرية تمجيدا لأفراد المجموعة، ولا زلت أحتفظ بهذه القصيدة التي تم نضمها بارتجال و سرعة.

تقول القصيدة :

هرعت رودانة العذراء باجمعها ** لما أقبلت الأشبال أفئدتها

وعن لسان مطلق فاح غناها ** حيث مجموعة أوسمان حلت ضيفا بها

فأهلا و سهلا بالفرقة أفرادها ** و مرحى بالأغاني العذبة إيقاعها

فإليكم أوسمان و ألحانها ** فشجعوها حتى تسمو في ميدانها

فالعجب لرنة القيثارة الكهربائية أنغامها ** حيث تنهش أصابع العكاف أوتارها

و الإيقاع المتزن و النغمة جمالها ** فعش يا قرفي حافظا لها

إيقاع منظوم و رنة وزنها ** فالأخ بوتروفين ساهر عليها

و ما أحلى القيثارة العادية أنغامها ** التي فاحت تحت خدشات العموري برنة أوتارها

أما أنت يا كمان فأنت للفرقة مؤنسها ** فعش يا بيجعاض ساهرا عليها

إن الأورك زاد النغمة جمالها ** و طارق يجاذب الموسيقى خفاياها

فهذه مجموعة اوسمان أقبلت ** فمرحبا بها أينما نزلت و ارتحلت

فعشت يا رودانة لفنون منبعها ** و تحت جناحيك قد ترى أوسمان أفرادها

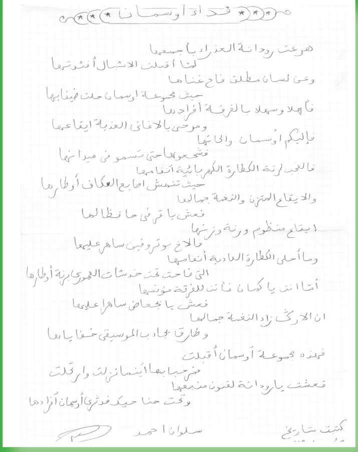

نداء اوسمان

هرعت رودانة العذراء بأجمعها
لما أقبلت الاشبال أفئدتها
وعن لسان مطلق فاح غناها
حيث مجموعة اوسمان حلت ضيفاتها
فأهلا وسهلا بالفرقة أفرادها
وموحى بالاغاني العذبة ايقاعها
فإليكم أوسمان والاتها
فشجعوها حتى تسمو في ميدانها
فالعجب لرنة الكطارة الكهربائية أنغامها
حيث تنمش اصابع العكاف أوطارها
والايقاع المتزن والنغمة جمالها
فعش يا قمر في حافظ الها
إيقاع منظوم ورنة وزنها
فالاخ بوتروفين ساهر عليها
وما أحلى الكطارة العادية أنغامها
التي فاحت تحت خدشات العموري بارنة أوطارها
أما انت يا كمان فانت للفرقة مونسها
فعش يا بجعاض ساهرا عليها
ان الارك زاد النغمة جمالها
وطارق يجاذب الموسيقى خفاياها
فهذه مجموعة أوسمان أقبلت
فمرحبا بها أينما نزلت وارتحلت
فعشت يارودانة لفنون منبعها
وتحت جناحيك قد ترى أوسمان أفرادها

سلوان احمد

كتبت بتاريخ

نسخة من القصيدة

بقلم السيد أحمد سلوان

وما أن دخلت مجموعة أوسمان مدينة تارودانت قادمة إليها من أكادير ضمن وفد كبير من المعجبين الذين رافقوها، حتى اهتزت جنبات القاعة. إلا أنه بعد أداء أغنيتين، أخذ العموري مغني المجموعة في الإستعداد لغناء أغنيته المفضلة، التي كان يغنيها قبل التحاقه بأوسمان أو في بعض المناسبات الخاصة وهي، (أيلي أيلي حبيبي ديالي فين هو). فرفض أفراد المجموعة هذا التصرف، و قام بلعيد بتنبيه العموري موسيقيا لكي يعدل عن غناء تلك المقطوعة، وكان ذلك أمام الجمهور الذي لم يعرف ماذا كان يجري فوق الخشبة. ثم عاد العموري من جديد ليعزف مقدمة الأغنية، وسرعان ما كان يأتيه الرد من طرف بقية أعضاء المجموعة وذلك

بعزف مقدمة أغنية من أغاني أوسمان. وبعد إصراره، انسحبنا من الخشبة، وتركناه لوحده يعزف على قيثارته وبدون غناء.

وفي الكواليس، شرحنا له موقف أوسمان كمجموعة موسيقية لها(ريبيرتوار) خاص ولها شخصيتها وتاريخها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تعود إلى الماضي أو تلبي رغبات بعض الأصدقاء. وكانت بداية الخلاف.

مجموعة أوسمان يتوسطها صديق الفرقة الأستاذ الشاعر والباحث عمر أمرير

كيف توقفت أعمال أوسمان

صحيح أن أوسمان لم تعمر طويلا. أقل من أربع سنوات لكن كلها عطاء وسهرات وتسجيلات وتضحيات ومواجهات واقتحام للمسارح التي كانت مقتصرة على فئة معينة. وهنا نعتبر أن أوسمان قد حققت المراد وقامت بالدور المنوط بها، وكانت فاتحة عهد جديد في مجال الموسيقى الأمازيغية. وأن أسلوب أوسمان، جعل جميع المغاربة بكل شرائحهم واتجاهاتهم يهتمون بها وكان ذلك هو المبتغى.

إن المجموعة أدت دورها وقامت بواجبها وكانت دائما في الواجهة، فقد فسحت المجال أمام المثقفين للإدلاء بآرائهم في الثقافة والفن الأمازيغيين.

أما بخصوص الأفراد الذين أسسوا هذه المجموعة، فقد اعتادوا على العمل الفني من أجل الفن ومن أجل القضية الأمازيغية، وأصبحت التضحية المستمرة وبالا على مستقبلهم وعلى متطلبات كل واحد منهم.

وهكذا قرر **امبارك العموري** أن يتمم المشوار بمفرده، ولم يستشر أعضاء المجموعة في شأن الموضوع، حيث اعتمد نفس الطريقة والأسلوب عندما دعاه إبراهيم أخياط للإلتحاق بأوسمان بالرباط سنة 1973، بحيث تخلى عن فرقته سوس فايف.

وهكذا انطلق العموري كالسهم، بحيث لقيت السهرات التي كان يقدمها نجاحا باهرا، كما سجل عدة أغاني كان من المفروض أن تقدمها مجموعة أوسمان لأنها كانت تتدرب عليها بانتظام. ولهذا فقد كانت أوسمان رافعة لأعمال العموري، هذا النجاح الذي لم يدم إلا ثلاث سنوات بعد توقف أوسمان.

أما **سعيد بيجعاض**، فقد التحق بالجوق الوطني للإذاعة الوطنية معتبرا أن الفن لا بد وأن يكون له مردود مالي، وأن التضحية مع أوسمان لا يمكن أن تستمر.

وعن **اليزيد القرفي** الذي كان قد قدم استقالته من إحدى الشركات بالدار البيضاء للتفرغ لأوسمان، فقد وجد نفسه في وضعية المغامرة غير محسوبة المخاطر، فقرر الإلتحاق من جديد بالشركة التي كان يشتغل بها.

أما **سعيد بوتروفين** الذي كان يشتغل في إحدى المستشفيات بالرباط فقد راهن على الوظيفة والإستقرار، واعتبر أن الفن لا يمكن أن يكون احترافيا، وأنه مستعد للعمل في الميدان الموسيقي كهاوي.

وبخصوص **بلعيد العكاف**، فقد سافر إلى الإتحاد السفياتي لاستكمال دراسته العليا في الموسيقى، وتخرج من المعهد العالي «تشيكوفسكي».

أما أنا **طارق المعروفي**، فبعد سنوات من الحضور على مدرجات كلية الحقوق بدون نتيجة، التحقت بالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية، حيث ناقشت رسالة التخرج منها تحت عنوان: «الإذاعة والتلفزة المغربية- مشكل اختيار أو أزمة وسائل»، وقد اغتنمت فرصة تواجدي بالإذاعة لتحضير الرسالة في بداية الثمانينات، لأطرح سؤالا على السيد مدير التلفزة أنذاك وهو: «لماذا تقدم التلفزة المغربية الأخبار باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية ولا تقدمها باللغة الأمازيغية؟» أمام هذا التساؤل لم أتلقى أي جواب، إنما انطباعات التعجب لسؤال كان غريبا بالنسبة للمتلقي، وطبيعيا بالنسبة لي.

آراء بعض الباحثين والمهتمين بمجموعة أوسمان

إن أوسمان ليست محطة كما صرح بذلك العموري في برنامج تيفاوين ليوم 19 ماي 2008، وليست مجموعة غنائية وموسيقية فحسب، بل هي مدرسة فنية في مجال الغناء والموسيقى، إذ لا زالت تعتبر مرجعا حتى اليوم كما يقول **الأستاذ إبراهيم أخياط** في كتاب الموسيقى الأمازيغية وإرادة التجديد.

ويضيف قائلا،لقد ساهمت المجموعة بشكل كبير في القيام بثورة فنية خاصة على المستوى الموسيقي، هذه الثورة الفنية كان لها الأثر الكبير على تطوير الموسيقى الأمازيغية، وسيكون لها تأثير كبير أيضا على مستقبل تراثنا الموسيقي، إذا ما وضعت آليات وإمكانيات مادية رهن إشارة مثل هؤلاء المبدعين الأكفاء، وفتحت الآفاق في وجوههم. ثم إنه لا يمكن للمرء أن يتصور كيف تمكنت المجموعة ومن خلالها الموسيقى الأمازيغية، أن تسطع و تكسر الأغلال التي قيدت وفرضت عليها لأجيال وأجيال. كما نريد من خلال كل هذا، أن نظهر أن المسألة ليست بالبساطة التي قد تبدو للبعض، لأن المسألة ومن البداية ليست مسألة مجموعة أو قضية أفراد، بقدر ما هي قضية إثبات الذات، وتعميق الوعي بهذه الذات الأمازيغية للمغاربة بكل الوسائل الممكنة.

إن أوسمان لا تستحق فقط التنويه والتكريم من طرف الدولة أو من طرف المقدرين والعارفين بما قامت به هذه المجموعة من أعمال فنية رائعة، وما قدمته من

تضحيات فردية وجماعية، فتحت و لكل الغيورين عن اللغة والموسيقى الأمازيغيتين أبوابا كانت موصدة، وفجرت في نفوس الشباب وكذلك الكهول على السواء، طاقات جديدة من الأمل والصمود. فقد تركت المجموعة بصماتها في نفوسنا وفي حياتنا النضالية، من أجل تعميق وعينا بذاتنا الأمازيغية في مجتمعنا المغربي أفرادا وجماعات، لتخليصه من التبعية والإستيلاب اللغوي والثقافي، ولينطلق بقوة في مسيرة التنمية والإبداع والخلق والتميز.

كما يقول **الأستاذ والشاعر الكبير محمد مستاوي** في ديوانه تاضصا د ءيمطاون: مجموعة أوسمان ساهمت مساهمة فعالة في تطوير الأغنية الشعبية المغربية. لحنها الرائع لأغنية ءاح ئينو كيغ تابرات - ويحي أنا رسالة - منح إلي نفسا جديدا. وكاعتراف لما بذلته المجموعة، فأقل شيء يهدى لها ولجمهورها صورة نشرها في مؤلفه، معتبرا أن النقد لم ولن ينقص من قيمتها شيئا.

أما **الأستاذ الصافي مومن علي** الذي كان من المفترض أن يكون المغني الرئيسي للمجموعة لولا تعيينه بمدينة ورزازات، فإنه يقول في كتابه (خطابات إلى الشعب الأمازيغي): استطاعت مجموعة أوسمان أن تفجر الثورة على الأوضاع الموسيقية السائدة في بلادنا، وأن تشيع في أوساط الشباب بالخصوص فعل التمرد على سياسة تهميش الأغنية الأمازيغية، وحصرها خارج أسوار المدن وخارج دورة التطور. فبفضل هذه المجموعة، استعادت الأغنية الأمازيغية هيبتها وثقتها في نفسها، فأقبل الشباب عليها.. .وبفضلها أيضا، اقتحمت الأغنية الأمازيغية أسوار المدن، وأضافت إلى نفسها الطابع المديني بعد أن كان الطابع البدوي هو اللصيق بها على الدوام...

كما يقول الأستاذ الصافي، في بداية السبعينات ظهرت مجموعتا ناس الغيوان وأوسمان اللتين ثارتا على النموذج الشرقي الذي مله الجمهور، وأعادتا الإعتبار للفن الغنائي المغربي الأصيل وآلاته التقليدية، وللكلمة الهادفة التي تدعو إلى التحرر والتوعية. وكانت هاتان الفرقتان سببا لظهور مجموعات وفرق موسيقية

عديدة نهجت خطاهما تلبية لتعطش المغاربة للتغيير، وتأثر بهذا التوجه العام للذوق حتى مبدعي الأغنية العصرية المغربية، فتخلوا عن الأسلوب الشرقي الروتيني، وأخذوا ينسجون أغانيهم على الأنغام والإيقاعات المحلية وليس الشرقية.

ويضيف **الأستاذ محمد نبزر** أن مجموعة أوسمان والتي لم تستمر طويلا بكل أعضائها، تبقى أقوى وأهم مجموعة غنت الأمازيغية بأسلوب مجموعات أواخر القرن الماضي وحتى الآن، اعتبارا لموضوعات أغانيها، وحفاظا على الأصالة الموسيقية بالآلات الحديثة. وككل الأشياء الجميلة، وككل الكيانات الإبداعية والمبدعة، انطفأت بسرعة لأنها تتنفس هواء أو غازا آخر غير هذا الذي نعيش عليه وتعيش عليه الكيانات والحيوانات العادية، فهي أشبه بالوردة...

ويقول **الكاتب محمد خير الدين رحمه الله**، إن المغنيين والملحنين في مجموعتي أوسمان وإزنزارن قد أضافوا إلى الألحان القديمة ذات الدلالات الكلاسيكية منحا كونيا. أنهم لا يغنون الحنين الذي عاشه آخرون قبلهم فقط، بل يغنون لبناء مستقبل، هذا المستقبل الغامض والمبهم. إنهم شعراء النهضة الأمازيغية.

ويقول **الأستاذ محمد الشامي** رئيس كونفدرالية الجمعيات الثقافية الأمازيغية بشمال المغرب. (أولى الأستاذ الصافي مومن علي للتراث الموسيقي فائق عنايته. فهو الذي أشرف على الإخراج الفني لأنطولوجية فن الروايس، وأنقد من الضياع معزوفات موسيقية كانت متداولة في منطقة سوس. حيث يعود إليه الفضل بمعية الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي ووزارة الثقافة لإنتاج تلك الأغاني والمعزوفات. زد على ذلك أن المعني بالأمر ترك مخطوطات موسيقية كثيرة، إذ لحن أزيد من ثلاثين أغنية، وهو أمر لا يعرفه إلا المقربون منه، الذين يعرفون كذلك سر الصداقة التي كانت تجمع بينه وبين الراحل صدقي أزايكو المؤرخ والشاعر الكبير الذي نضم جل قصائده ليلحنها الأستاذ المبدع الصافي مومن علي، الذي عمل كذلك على تلحين بعض قصائد الأستاذ المناضل إبراهيم أخياط الذي أصبح

شاعرا بالضرورة. هذا ولا ننسى أن الأستاذ الصافي مومن علي كان من مؤسسي مجموعة أوسمان، الذي كان من الممكن أن يكون مطربا وملحنا لها لولا متطلبات العمل، التي فرضت عليه وقار القضاء (قاضي منذ سنة 1970) ورزانة المحاماة (محامي حاليا)، لكان من أكبر مطربي عصره.

ويقول **الأستاذ حسن أوريد** في محاضرة تحت عنوان: »الأدب الأمازيغي إبداع و تواصل» ألقاها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الأول بوجدة بتنسيق مع مجلة «حفريات مغربية» الملتقى الأول للأدب الأمازيغي تحت شعار «إبداع وتواصل»، وذلك يومي 12-13 مارس 2004، حيث كان ضيف شرف الملتقى.

كانت ثورة «أوسمان» ومن بعدها «إزنزارن» أبعد مدى من كل التعابير الأدبية الأخرى... بدأت محتشمة في حظيرة حفلات خاصة، متدثرة بأسماء متسترة لتفصح عن ذاتها كسنا البرق أو قعقعة الرعد في سماء زرقاء صافية، ولينهال غيثها لا على أشخاص خاصين، بل على جمهور يتجاوب معها في تارودانت والناضور، بل في الرباط وفي باريس وبروكسيل... كانت تحذو خطى تجربة فريدة في الغناء الشعبي، هي تجربة «ناس الغيوان»، وتجربة مهندس أمازيغي من القبائل Idir، ترك الهندسة ليعانق الغناء، وليدخل ساحة الفن من خلال رائعته «Avava inu va»..

مزجت مجموعة «أوسمان» بين الإيقاع الحديث والإيقاع القديم، وأدخلت آلات جديدة إلى جانب الآلات القديمة، وغنّت شعرا جديدا يطفح بالقيم الإنسانية وبالمحبة وبالتعلق بالهوية... ولسوف نرى كيف سمقت فرقٌ غنائية تنهل من تجربة شعرية بمنطقة الريف وبالمهجر في سياق التسعينات وفي عقدنا هذا...

كما يقول **الأستاذ أحمد الخنبوبي** (الحوار المتمدن– قراءة في صيرورة المجموعات الموسيقية الأمازيغية العصرية – العدد 2035 بتاريخ 2007/09/11).

ظهرت أوسمان، كأول مجموعة أمازيغية عصرية منظمة ومجددة في بداية السبعينات، التي كان للأساتذة إبراهيم أخياط والصافي مومن علي، ومحمد مستاوي، دور كبير في تأطير أفرادها، وكذا خروجها إلى الساحة الفنية والإعلامية. ولقبت المجموعة في بدايتها من طرف البعض بلقب « ناس الغيوان الشلوح».

وهنا أقول بأن ظهور أوسمان كان أكثر تطورا وعصرنة آنذاك، فقد استعملت المجموعة آلات متطورة، كالأكورديون والكمان والقيثارة الكهربائية. كما استطاعت المجموعة أن تضم إليها طاقما من خيرة الموسيقيين والعازفين كطارق المعروفي وبلعيد العكاف والعموري مبارك وآخرون.

هناك من الباحثين من أعطى تصنيفا آخرا للمجموعة الغنائية أوسمان حيث اعتبرها مجموعة أكاديمية. كما أن هناك تصنيف آخر يعتمد على معيار التأثير، باعتبار أن أوسمان تأثرت بمدرسة الحاج بلعيد.وفي الأخير أود التذكير بمقولة الباحث الفرنسي في الموسيقى الأمازيغية «كلود ليفيبير»، حيث جاء في سياق حديثه عن المجموعات الأمازيغية العصرية في المغرب: فبالإضافة إلى الأضواء الرعدية أوسمان، هناك خيوط الشمس إزنزارن، لتنضاف فرقة أرشاش إلى الزخة في مبارزة وتناقض، وفي نفس الوقت نوع من التكامل، لأن النبات في حاجة إلى جميع تلك العناصر المناخية لينمو ويخضر...

ويقول **محمد بلوش** في جريدة المنعطف. «أوسمان» التي هي في الأصل امتداد لثلاثي «ياه» الشهير، قبل أن تكون مجموعة تجديدية في الأغنية الأمازيغية، بل كانت أول تجربة عضدتها إبداعات شعراء مثقفين، كان لهم دور بارز في إرساء قواعد الحركة الثقافية الأمازيغية، وكيف لا و«أوسمان» التي كان أمر تأسيسها نابعا من توجيه الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، حيث كان الهدف من المجموعة الفتية، حسب الباحث والدكتور الحسين أوعزي هو تجديد الحياة الأمازيغية عامة..

لهذا فلا يمكن اعتبار أوسمان محطة أو مرحلة...

أوسمان فوق شجرة. ثمار حان اقتطافها أم أن الأفراد ترى
ما لا يراه الناس

الحنين الى أوسمان

كان اللقاء بيني وبين بلعيد العكاف شبه يومي. و قد عاودنا الحنين إلى أوسمان. و لهذا قررنا أن نؤسس مجموعة موسيقية تحمل نفس الإسم، حيث أضفنا إليها أربعة عناصر منهم أخوي بلعيد اللذان كانا يتقنان، أغاني أوسمان. وفعلا سجلنا شريطين وشاركنا في بعض المهرجانات والسهرات. وكان أملنا أن تلتحق بنا العناصر الأخرى، إلا أننا لم نحقق المبتغى، فأوقفنا العمل والنشاط في المجموعة مخافة أن نمس سمعة أوسمان بسوء.

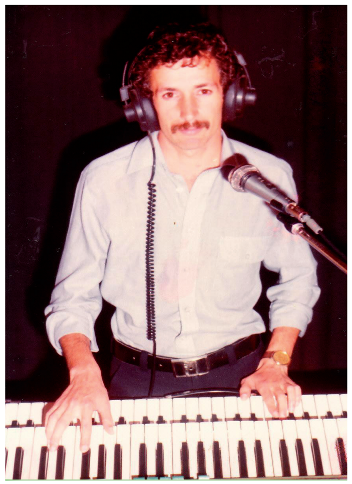

طارق المعروفي في الأستوديو أثناء التسجيل

وهكذا أصبح كل فرد يعمل بمفرده وحسب إمكانياته الفنية والإبداعية، إلى حدود سنة 1983، حيث اجتمعنا من جديد بمساهمة بعض المتتبعين والغيورين على الأغنية الأمازيغية. وهكذا قمنا بتسجيل شريط كاسيط يضم ست أغاني، وكانت من أجمل ما أنتجت أوسمان، بحيث أن التداريب استغرقت شهورا. وقد حقق الشريط نجاحا كبيرا ولم يحقق كما هو معتاد أي مردود مالي لبعض عناصر المجموعة.

طارق المعروفي و بلعيد العكاف
بعد تسجيل الشريط

وهكذا أصبح مرة أخرى كل عنصريعمل بمفرده، إلى أن نلتقي في مهرجان أو سهرة، ولم أعد بعد ذلك أهتم بالميدان الفني لأنه يتطلب نفسا طويلا وتضحيات جسام و مغامرات غير مسؤولة...

ولهذا واصلت دراستي العليا، وتقلدت عدة مناصب المسؤولية في الإدارة العمومية، خصوصا في ميدان تدبير الموارد البشرية. وقد زاد هذا البعد حدة بعد ظهور

ما يسمى بالمثقفين الجدد، الذين لم يذوقوا طعم التضحية والنضال في الستينات والسبعينات، وأصبحوا اليوم في الواجهة بعدما تمت إزالة الحواجز والعقبات. كما ظهر مغتنمو الفرص وأصحاب الهروب إلى الأمام، وكل هذه المظاهر، تجعلني أتذكر المرحوم والدي الذي ناضل وسجن أكثر من مرة من طرف الإستعمار، وتوفي وهو لا يتوفر ولو على غرفة بسيطة، بل إن بيته كان معرضا للإفراغ من طرف المحكمة كما سبق ذكره. لقد استفاد مباشرة بعد الإستقلال، أولائك الذين كانوا إما مختبئين وراء المناضلين والوطنيين الحقيقيين، وإما....

ومع ذلك فإن القضية الأمازيغية تقتضي توحيد الرؤيا ونهج أسلوب متفتح وقابل للإستيعاب في ظل المتغيرات، والبعد كل البعد عن الأساليب القديمة التي لم تؤدي إلى نتائج في الماضي، ولن تكون في مستوى ما نصبوا إليه، وهو الإهتمام بالهوية والثقافة واللغة.

طارق المعروفي و الإخوان العكاف بمسرح محمد الخامس

القضية الأمازيغية
في المغرب - إلى أين ؟ -

هناك نظرة تشاؤمية عند تحليل منحنى الإهتمام بالأمازيغية.

فالإهتمام يعرف صحوة في كل محطة، وربما سيعرف ركودا مرة أخرى ما لم تتخذ الإجراءات الموضوعية والمعقولة و الواقعية.

- لا يمكن الوصول إلى المبتغى في ظل الظروف الراهنة .
- لا يمكن أن يتم التصالح مع الذات في ظل المعطيات الحالية .
- لا يمكن الإهتمام بالشخصية الأصيلة والمقومات اللغوية والثقافية، في ظل صراعات لا تؤدي إلا إلى تعميق الهوة عوض التمسك بالهوية.

ما هي الظروف التي أثرت في تأخر الإهتمام بالهوية المغربية التي هي نفسها الهوية الأمازيغية؟ وما يميزها عن الشعوب الأخرى التي اختلط بها وتفاعل معها كالفينيقيين والرومان والقرطاجيين والواندال والعرب والإسبان والفرنسيين، قد لا نجد سوى الأمازيغية التي لم يعرف لها أي وطن آخر سوى شمال إفريقيا.

هناك العامل الثقافي الحضاري، فبعد وفود العرب ثقافة وحضارة على ربوع شمال إفريقيا، كان العنصر العربي هو القوي والغالب على صعيد هذا العمل. لذلك تقمص المثقفون الأمازيغيون والمستلبون الشخصية العربية في جميع المجالات بشكل أبعدهم عن شخصيتهم الحقيقية. والإستيلاب الفكري العربي، لا يعني بتاتا الإستعمار العربي ولا يعني أيضا العطاء الفكري العربي.

هناك أيضا العامل النفسي، إذ أن ظاهرة احتقار الذات وتبجيل الآخر، جعلت المغاربة يتقمصون شخصية أخرى كشكل من أشكال الدفاع عن النفس. أما الإهتمام بالشخصية الأصلية والأدبية والفنية يعد تأخرا وانحطاطا. فمقابل ذلك صاروا يعتقدون أن التفنن في تقليد الغير تقدما وتمدنا ومسايرة للعصر.

وإذا أضفنا إلى هذه العوامل مظاهر أخرى متمثلة في اللغة الغير مكتوبة كما يعتقد البعض، وأن الأمازيغيين يعتمدون على الفلاحة ولا علاقة لهم بالثقافة والسياسة، فإنها قد تكون ضمن الأسباب كما يعتقد هؤلاء التي حالت دون اهتمام القدماء بالموضوع. الآن نحن في مغرب معاصر متحرر ومتفتح، يشعر فيه المواطن بحرية التفكير والتعبير والبحث. كما أن الظروف ملائمة، والوسائل متوفرة من أجل الدفع بالأمازيغية إلى المكانة اللائقة بها.

لهذا يتعين الإحاطة بالنقط التالية:

أولا: إن التطرف في جميع القضايا يؤدي لا محالة إلى نتائج عكسية. فمن جهة هناك بعض الفعاليات الغير الناطقة بالأمازيغية، التي تواجه هذا المد الأمازيغي، وتعرقل كل الجهود في هذا الإتجاه. ونجد في المقابل بعض الناطقين بالأمازيغية الذين يعتقدون أن الأمازيغية ملك فقط للناطقين بها، أما الآخرون فهم مجرد قوماجيين... وفي ظل الصنفين من المتطرفين، تبقى القضية الأمازيغية في محك ولا تقطع المراحل. ومن حسن الحظ أن الصنفين المذكورين، لايمثلان جميع الطبقات المغربية، وأن عددهم قليل لا يمكن أن يؤثر على المسار الذي نهجته الأمازيغية. لهذا يجب أن يتخلى المعربون المدافعون والمتحمسون للغة العربية، عن الإستمرار في القول بأن كل دعوة لتحقيق مطالب الحركة الأمازيغية ما هي إلا دعوة لخدمة أغراض إستعمارية، وهي اتهامات مجانية. كما يجب على بعض المدافعين عن الثقافة الأمازيغية، ألا يعتبروا أن اللغة العربية أجنبية دخيلة تعرقل الأمازيغية.

ثانيا: يتعين اعتبار الأمازيغية قضية وطنية وملكا لجميع المغاربة، وغير مقتصرة على فئة معينة، وبالتالي يتعين أن ينخرط الجميع في هذا الورش. فكل المغاربة أمازيغيون، سواء كانوا ناطقين بالعربية أو بالأمازيغية أو بالفرنسية، ولا يمكن اعتبارها جهوية أو تعني أقلية أو أغلبية أو منطقة دون أخرى. كما أنه من واجب المثقفين الأمازيغ والجمعيات والباحثين بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، أن يعرفوا بهذا الإرث الثقافي بأساليب مشوقة ومفيدة، ويبتعدوا كل البعد عن الترامي بالألقاب والنبش في أخطاء الماضي، لأن الماضي يعيد نفسه في بعض الأحيان لما هو أسوا. ومن هنا أتذكر ما كتبه ما يسمونه بالباحث في الشأن الأمازيغي في إحدى الجرائد المحدودة الانتشار، أن أحد الزعماء السياسيين في الماضي كان يوصي الناس بتعلم اللغة العربية بيد أن أبناءه كانوا يتعلمون اللغة الفرنسية. وبما أن التاريخ يعيد نفسه لما هو أسوا، فإن بعض الناطقين بالأمازيغية، ومنهم الباحثون أو ما يسمى بذلك، يطالبون الشعب المغربي بتعلم اللغة الأمازيغية وينادون بدسترتها وإقحامها في المنظومة التعليمية والإتصال وما إلى ذلك، وفي المقابل لا يعلمون أبناءهم هذه اللغة. وهذه هي المفارقة الغريبة.

ثالثا: كانت الأمازيغية ولا زالت ورقة سياسية في يد بعض الأحزاب، شأنها في ذلك شأن الموضوع القديم الجديد المتعلق بالنهوض بالعالم القروي، الذي يئن له أولائك المتربصون للوصول إلى السلطة. ونتساءل على ما حققوه منذ الإستقلال إلى يومنا هذا، أم أن المطلبين لهما موعد فقط في الحملات الإنتخابية. أما الأحزاب الأخرى، فإن تعاملها مع القضية يكون فقط من باب المجاملة. فالتسييس يعني تخريب القضية الأمازيغية، على اعتبار أن كل ما هو ثقافي هو أساس السياسي و له هذا البعد. وحيث أن القضية الأمازيغية وطنية، فإنها فوق التيارات الإيديولوجية وتعني الجميع، لأنها تمس الذات والهوية والحضارة .إنها قضية المستقبل في الجوهر ، ولا يجوز السماح بتحويلها إلى قضية ذات طابع ماضوي تغرق معها المغرب في المتاهات. لقد عانت الأمازيغية منذ قرون وصمدت أمام العديد من المواجهات،

ولا زالت إلى يومنا هذا تنتقل هذه اللغة من جيل لآخر، وحان الوقت لكي تقوم الدولة بواجبها في هذا الإطار، باتخاذ القرارات الجريئة لتجاوز العقبات الواهية من أجل الحفاظ على هذه اللغة. فالأرض المغربية لا زالت تنطق بالأمازيغية، سهولها وأنهارها و جبالها ومدنها وقراها. ولا يمكننا أن نكون بعيدين عن هذه الأرض التي نشأنا فيها.

رابعا: ما العلاقة بين ترسيم لغة ما وهوية المجتمع ؟

وهل يعد ترسيم لغة ما تفعيلا لمبادئ حقوق الإنسان ؟

وهل يعد عدم ترسيمها خرقا لمبادئ حقوق الإنسان ؟

هل ندستر الأمازيغية قبل تأهيلها أم نعتبر أن الدسترة شرط من شروط تأهيلها؟

خامسا: في يوم من الأيام كنت في ضيافة أحد الأصدقاء، وعندما ظهرت أغنية أمازيغية على شاشة التلفزة، بادر إلى تغيير القناة بتلقائية لأنه لا يطيق سماع تلك الأغاني... ومرة أخرى كنت صحبة صديق أمازيغي، وما أن بدأت موسيقى الآلة على أمواج الإذاعة، حتى انقض على المذياع لإسكاته قائلا : «أش هاد الصداع..» كنت دائما أحلم بمغربي يعتز بكل تراثه. صحيح أن الأذواق تختلف وتنمو، كما أنها تختلف حسب الجهات والنشأة البشرية وضغط وسائل الإتصال. و مع ذلك علينا احترام جميع الأنماط المغربية دون إقصاء أو مواجهة. فالأغنية المغربية تجذب المستمع بكلامها الهادف و بألحانها الجميلة والمتميزة. كما يكون النفور منها لعدم توفرها على تلك المقومات، إذ لا يجب أن يكون الرفض هو اللغة أو الجهة التي أنتجتها. فالشعب هو الذي ينتج الحضارة والتراث، بغض النظر عن اللغة و النمط الحضاري السائد، و بغض النظر على الأصول الدموية.

سادسا: أريد من جميع المغاربة الغير الناطقين باللغة الأمازيغية مثلي، أن يتشبعوا بهذه اللغة وبهذه الثقافة، لأنها مكون أساسي للهوية المغربية، وأن يتخلوا عن النظرة القديمة اتجاه الأمازيغية، من أجل محو أخطاء الماضي والتصالح مع الذات. كما أريد

في نفس الوقت من جميع المغاربة الناطقين بها، أن ينهجوا أسلوبا آخرا للإقناع، ونمطا آخرا لكي ينخرط الجميع بكل طواعية في هذا الورش، وأن يلعب كل واحد الدور الهادف، من أجل أن تكون لغتنا ذات أهمية متواجدة ومحترمة، وألا يكون هناك مغربي من الدرجة العليا وآخر من درجة ثانية، ولا منطقة خضراء وأخرى قاحلة، ولا جهة نامية وأخرى متخلى عنها.

إنه الحلم المعروفي إنه مغرب الغد.

يتحدث مؤلف الكتاب، وهو أحد أعضاء أول مجموعة موسيقية عصرية أمازيغية "أوسمان"، عن ظروف نشأته وعن حياته الفنية قبل ظهور المجموعة.

2010

كما يؤرخ هذا الكتاب لمرحلة هامة جدا من نشأة مجموعة أوسمان الموسيقية التي اهتمت بالأغنية الأمازيغية بشكل عصري في فترة السبعينات من القرن الماضي.

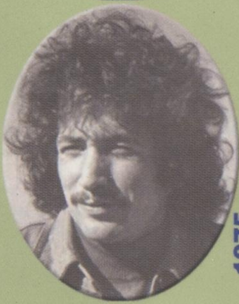
1975

وبصفتي أحد المؤسسين لهذه المجموعة، فإنني أسترجع في هذا المؤلَّف مراحل تأسيس الفرقة، وظروف الإحتكاك بالنشطاء في الحركة الثقافية الأمازيغية، وبالجولات الناجحة للمجموعة سواء داخل المغرب وخارجه، مما أكسبها شهرة إعلامية وجماهيرية في ظرف وجيز. كما تطرقت إلى أسباب نهاية العمر الفني للمجموعة التي لم يكتب لها البقاء طويلا على الساحة الفنية، لكن الأربع سنوات من حياتها، كانت كافية لنقش إسم "أوسمان" في ذاكرة المغاربة .

1962

المؤلف

أوسمان
USMANE

12 درهم